الفصل السابع

ثمرات الحوار

- المبحث الأول: ثمرات الحوار في مجال الدعوة.
- المبحث الثاني: ثمرات الحوار في مجال التربية.
- المبحث الثالث: ثمرات الحوار في مجال الثقافة والتفاعل الحضاري مع الأمم الأخرى.

ثمرات الحوار

المبحث الأول
ثمرات الحوار في الدعوة إلى الله

أولًا: الحوار في مجال الدعوة:

حيث إن الحوار يغلب عليه الهدوء، والرغبة في التوصل إلى الحق، والبعد عن الخصومة والعناء، فالواجب أن يختار له أطيب الكلام وألينه؛ مما يكون مفتاحًا للقلوب، وأقرب إلى القبول والتسليم، فربما كانت الكلمة الطيبة، وحسن العبارة وطيب القول عاملًا أساسيًّا في نجاح الحوار والوصول إلى نتيجة، وقطف ثمرته، كما أن سوء العبارة وفحش القول، وبذاءة اللسان - في الغالب - سبب في فشل الحوار، وعدم التوصل إلى الهدف منه، لذلك كان لا بد من بيان مبدأ الكلم الطيب، وتقديم التي هي أحسن لعلاقته الوطيدة بأدب الحوار، وذلك من خلال النصوص المستفيضة في تقرير هذا المبدأ في الكتاب والسنة.

فمن ذلك قول الله - سبحانه - مخاطبًا بني إسرائيل ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]. أي قولوا لهم قولًا حسنًا وكلموهم طيبًا ولينوا لهم جانبًا ويشمل ذلك كل خلق حسن رضيه الله (كما ذكره ابن كثير) ويشمل كل خير وحسن ومنفعة، مثل لين القول والصدق والنصيحة[١].

قال الحسن: لين القول من الأدب الحسن الجميل، الخلق الكريم، وهو مما ارتضاه الله وأحبه[٢].

---

(١) ابن كثير: (١/١٢٠).
(٢) الطبري: (١/٣٩٢)

وقد ضرب الله للكلمة الطيبة مثلًا بالشجرة الطيبة الثابتة الأصل، والتي تؤتي ثمارها باستمرار، فكلمة الخير تثمر الخير دائمًا (سواء كان المقصود بها كلمة التوحيد، أم كل كلمة خير طيبة).

فقال سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥].

عن عطية العوفي قال: ذلك مثل المؤمن، لا يزال يخرج منه كلام طيب، وعمل صالح يصعد إليه[١]. والكلمة الطيبة التوحيد، وقيل كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة كما وصف الله عباده المؤمنين الذين يدخلهم الجنة بقوله عَزَّوَجَلَّ ﴿ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [الحج: ٢٤]. فالهداية إلى الطيب من القول والهداية إلى صراط الحميد تذكر في مشهد النعيم الدائم في الآخرة، فهي نعمة الطمأنينة واليسر والتوفيق[٢].

ولما للكلمة الطيبة، والقول الحسن من أثر في النفوس، ووقع في القلوب، وإبعاد عن نزغ الشيطان وإيقاعه بين المؤمنين أمر الله عباده أن يدفعوا بالتي هي أحسن ويقدموها قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ [المؤمنون: ٩٦ -٩٧].

ومثلها قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [فصلت: ٣٤-٣٦].

---

(١) الطبري: (١٣/٢٠٤).
(٢) الظلال: (٤/٢٤١٥).

ومجمل معنى الآيات الثلاث أن الله يأمر عباده أن يقول بعضهم لبعض التي هي أحسن من المحاورة والمخاطبة.

روي مبارك عن الحسن قال: «التي هي أحسن» أن لا يقول له مثل قوله، ولكن يقول له: يرحمك الله، ويغفر الله لك[١].

وأن يدفعوا إساءة المسيء بالنصح، والفحش بالسلام، والمنكر بالموعظة، والغضب بالصبر، قال ابن كثير: (قال علي بن أبي طلحة: عن ابن عباس قال: أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم)[٢].

وقال سيد قطب تفسيرًا لقوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ على وجه الإطلاق وفي كل مجال فيختاروا أحسن ما يقال ليقولوه، بذلك يتقون أن يفسد الشيطان ما بينهم من مودة، فالشيطان ينزغ بين الإخوة بالكلمة الخشنة تفلت، وبالرد السيء يتلوها، فإذا جو الود والمحبة والوفاق مشوب بالخلاف ثم بالجفوة ثم بالعداء، والكلمة الطيبة تأسوا جراح القلوب، تندى جفافها، وتجمعها على الود الكريم. ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ يلتمس سقطات فمه وعثرت لسانه، فيغري بها العداوة والبغضاء بين المرء وأخيه. والكلمة الطيبة تسد عليه الثغرات، وتقطع عليه الطريق، وتحفظ حرم الأخوة آمنًا في نزغاته ونفثاته[٣].

بل إن الله سبحانه وتعالى أمر بتقديم التي هي أحسن حتى في الجدال الذي غالبًا ما تكون فيه الخصومة والعناد، ذلك أن الرفق في الموعظة كثيرًا ما يهدي القلوب الشاردة، ويؤلف القلوب النافرة، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ[٤].

قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥]. قال ابن كثير: (أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن، برفق ولين وحسن

(١) زاد المسير: (٥/٤٧).
(٢) ابن كثير: (٤/١٠١).
(٣) الظلال: (٤/٢٢٣٤).
(٤) الظلال: (٤/٢٢٠٢).

خطاب.....) إلخ[١]. ويكفينا دليلاً على أهمية الكلمة الطيبة، وضرورة القول اللين، وخاصة في أمر الدعوة والخطاب، أن الله أمر بها موسى وهارون - عليهما السلام- في مواجهة الطاغية فرعون: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ (طه: ٤٤).

والآيات في هذا المعنى متعددة، وأما تقرير ذلك في السنة فقد جاء عن طريقتين، أحدهما: الأمر بها والحث عليها وبيان فضلها، من خلال أقوالهﷺ.

وثانيهما: تطبيق ذلك عمليًّا من خلال معاملته ومعاشرته ﷺ.

فمن الأول قوله ﷺ: «والكلمة الطيبة صدقة»[٢].

وقوله «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة»[٣].

وقد جعل النبي ﷺ: الكلمة الطيبة وسيلة للوقاية من النار، كما جعلها في مقام الصدقة المحسة بالمال، وهذا يدل على أهميتها وأثرها البالغ في النفوس[٤]. كما جعل الأصل بالنسبة للمسلم ألا يتكلم إلا إذا كان الكلام خيرًا أو طيبًا وإلا فالصمت أولى وأسلم، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»[٥].

وحيث إن طلاقة الوجه انبساطه وبشاشته من القول الحسن والخلق الجميل، وله أثره الملموس في موضوع الحوار، فقد أشار إليه النبيﷺ: وجعله من الصدقة والمعروف فقال: «لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلق أخاك بوجه طليق»[٦].

وقال أيضًا: «وتبسمك في وجه أخيك صدقة»[٧].

---

(١) ابن كثير: (٢/٥٩١).

(٢) جزء من حديث طويل متفق عليه (البخاري: كتاب الجهاد رقم ٢٨٩١، مسلم كتاب الزكاة ٢/٦٩٩رقم٥٦).

(٣) متفق عليه (البخاري: كتاب الأدب رقم ٦٠٢٣، مسلم كتاب الزكاة (٢/٧٠٤) رقم ٦٨.

(٤) يحي زمزمي: مرجع سابق، ص ٩٠.

(٥) أخرجه البخاري: كتاب الأدب رقم ٦٠١٨،

(٦) أخرجه مسلم: كتاب البر (٤/٢٠٢٦) رقم ١٤٤.

(٧) أخرجه الترمذي: كتاب البر (٤/٣٣٩) رقم ١٩٥٦.

وأما ما ورد من فعله وحسن معاملته ولين قوله وطيب كلامه ﷺفهو كثير جدًّا ويكفي ذكر بعض الأمثلة هنا.

- الحديث الأول: حديث عائشة في لعن اليهود قالت: «دخلت رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليكم. قالت عائشة: ففهمتها فقلت: وعليكم السام واللعنة. قالت: فقال رسول الله ﷺ: مهلًا يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله. فقلت: يا رسول الله ﷺ: قد قلت وعليكم»[١].

- الحديث الثاني: حديث الأعرابي الذي بال في المسجد: فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «دخل أعرابي المسجد ورسول الله ﷺ جالس قال: اللهم اغفر لي ولمحمد ولا تغفر لأحد معنا، فضحك رسول الله ﷺ وقال: «لقد احتظرت واسعًا» ثم ولى حتى إذا كان في ناحية المسجد فشج يبول. فقال الأعرابي بعد أن فقه: فقام إلى بأبي وأمي. فلم يؤنب ولم يسب فقال ﷺ: «إن هذا المسجد لا يبال فيه، وإنما بني لذكر الله وللصلاة»، ثم أمر بسجل من ماء؛ فأفرغ على بوله»[٢].

قال ابن حجر رحمه الله: «وفيه الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف إذا لم يكن ذلك منه عنادًا، ولا سيما إن كان ممن يحتاج إلى استئلافه، وفيه رأفة النبي ﷺ وحسن خلقه».[٣]

- الحديث الثالث: حديث معاوية بن الحكم، وفيه قال: وبينا أنا مع رسول الله ﷺ في الصلاة، إذ عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله فحدقني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أماه، ما لكم تنظرون إلي؟ قال: فضرب القوم بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يسكتوني، لكني سكت. فلما انصرف رسول اللهﷺ دعاني بأبي وأمي هو، ما ضربني ولا قهرني ولا سبني، وما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، قال: «إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وتلاوة القرآن»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب رقم ٦٠٢٤.
(٢) أخرجه البخاري: في كتاب الوضوء رقم ٢٢٠،
(٣) فتح الباري: (١/٣٢٥).
(٤) أخرجه مسلم: كتاب المساجد (/٣١) رقم ٣٣.

ولعل هذه الأحاديث الشريفة كافية في بيان المقصود من لين قوله وطيب كلامه ﷺ؛ فهو يأمر السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بالرفق في القول حتى مع اليهود، بل حتى وهم يسبون ويؤذون فلا يرضى بالشتم، ولا يقر الفحش في القول.

فلم يكن ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا، وهو يرفق بالأعرابيين غاية الرفق، فلا يسب بل يعلم بالكلم الطيب، وينهى أصحابه عن الزجر والشدة، ويأمرهم بالتخفيف والتيسير مطلقا، حيث كان يقول: «يسروا ولا تعسروا، بشروا ولا تنفروا...»[١].

وفي المقابل فقد حذر ﷺ ونهى عن بذاءة اللسان لما له من الأثر السيء على المجتمع المسلم، فقد قال ﷺ: «ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذئ»[٢].

ومعلوم خطر سيئ الكلام، وفحش القول، فربما كانت كلمة سيئة أو قولة غير مسؤولة سببًا في مصائب عظام، أو طريقًا إلى الدمار، كما قال الشاعر:

فإن النار بالعودين تذكى ... وإن الحرب مبدؤها كلام

ولذلك فقد قال ﷺ: «ما كان الفحش في شيء إلا شانه وما كان الحياء في شيء إلا زانه»[٣].

فيحذر الداعية المحاور كل الحذر من زلات اللسان، وسقطات الكلام. فقد تؤدي بحواره إلى الفشل والضياع.

ثانيًا: الحوار وسيلة للدعوة:

يعتبر الحوار صناعة الرسل والدعاة؛ لأن تغيير العقائد ليس أمرًا سهلًا؛ ولذلك أعطى الله رسله البيان. وأرسلهم بلغة أقوامهم ومنحهم القدرة على المخاصمة؛ لكي يردوا جدل المعارض ويقنعوا السائل. ويأخذوا بيد الجميع عن طريق المناقشة الحرة العاقلة.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم ٦٩.
(٢) أخرجه الترمذي: كتاب البر (٤/٣٥٠) رقم ١٩٧٧.
(٣) أخرجه الترمذي: كتاب البر (٤/٣٤٩) رقم ١٩٧٤.

فهو - أولًا - يبين للداعية بعض ما سوف يصادفه من أعداء دعوته، ويبصره بمشاق الطريق الذي سوف يسلكه، وذلك برواية الجدل الذي دار بين النبي ﷺ ومدعويه؛ ذلك لأن المعارضين دائمًا يقفون ضد دعوة التغيير. فإذا لاحظنا أن الدعوة الإسلامية تطالب المعاندين بتغيير جذري يشمل الحياة كلها؛ لظهر لنا سر قوة المخاصمة وشدة العناد.

وإذا ما علم الداعية أنه أمام موقف صلب من الناس لزمه أن يستعد له بقوة عقلية ونفسية، وخاض طريقه الصعب صابرًا محتملًا. والنبي ﷺ كان هو القدوة في هذا المجال؛ فلقد كان القوم يحاولون هدم رأيه، ويصفونه بمختلف الأكاذيب، يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [سبأ: ٤٣].

فهؤلاء الكفار حينما سمعوا رسول الله ﷺ يتلو عليهم الآيات البينات ويذكرهم بالأدلة الواضحة قالوا: إن محمدا رجل كاذب وساحر يهدف إلى إبعاد الناس عن دين آبائهم، وقرآنه كلام مختلق ودينه سحر مبين؛ فتراهم اتهموا الرسول وكتابه ورسالته خصومة وجدلًا.

إن الله سبحانه وتعالى مع من يدعو إلى دينه يدافع عنه وينصره. ولذلك أمر الرسول ﷺ أن يرد بالطريقة الجدلية على اتهامات معارضيه؛ فلئن تباهوا بما لهم من مال وولد وظنوا أن ذلك يدفع العذاب عنهم. ﴿ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ [سبأ: ٣٥].

فإن الله يعلم رسوله الرد ويأمره به فيقول تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ [سبأ: ٣٦، ٣٧].

وهكذا يرد الله مباهاتهم بمالهم؛ لأن هذا المال رزق أعطاه الله لهم، وهو قادر على إزالته من ملكيتهم. وليس الملك أيًا كان بمقرب من الله والجنة ومانع من العذاب والنار. ولكن الإيمان والعمل الصالح هما أساس الحساب خيرًا كان أو شرًا[1].

(١) أحمد غلوش: مرجع سابق، ٣٨٣.

ولئن وجهوا اتهاماتهم إلى القرآن الكريم: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾ [الفرقان: ٥]، فإن الله يعلم رسوله الرد ويأمره به في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [الفرقان: ٦].

ولئن كانوا يستبعدون القيامة. ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ (يونس: ٤٨)، فإن الله يأمر الرسول ﷺ بالرد فيقول: ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾ [سبأ: ٣٠].

ومن هذه الآيات نرى أن مجادلة النبي ﷺ هادفة؛ فهو يأخذ مكابرتهم ويرد عليها ردًّا مقنعًا قاصرًا على المعترض عليه.

والداعية يأخذ من هذه المواقف صورة التأييد الإلهي لرسوله ﷺ الداعية الأول، ويسير على الدرب في الدعوة؛ متوقعًا المعارضة البشرية متأكدًا من التأييد الإلهي. ويجب عليه أن يصبر على كل ما يلقاه فلقد أمر الله الرسول ﷺ من قبل بقوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴾ [المزمل: ١٠] أي إذا دعوتهم وعارضوك وتقولوا عليك الأقاويل فاصبر عليهم وتجلد لقولهم، وأعرض عنهم إعراضًا لا يشوبه أذى ولا شتم ولا مقاومة، وعليك أن تكل الأمر إلى الله تعالى في النهاية.

والحوار - ثانيًا - يبصر بالدعوة ويبين أساسياتها، ويعرض القرآن في هذا الموضع جدل سيدنا إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مع النمرود وإثباتًا للألوهية يقول تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

فهذا جدل حول إثبات الألوهية بأدلتها، تراها أدلة مفحمة ملزمة من أقرب الطرق، وقد ترك سيدنا إبراهيم دليل الإحياء والإماتة؛ حينما أوجد النمرود شبهة شكلية عليه. وانتقل إلى دليل لا شبهة فيه عند النمرود وهو مطلع الشمس ومغربها. وهنا بهت النمرود ولم يجد جوابًا، وهو نوع من الجدل يعرف بـ «الانتقال» وهو أن

ينتقل المستدل إلى استدلال غير الذي كان أخذ فيه لعدم فهم الخصم وجه الدلالة من الاستدلال الأول[١].

وهذا الدليل يبطل عبادة الأشخاص ولا يثبتها إلا للإله الواحد القادر على كل شيء المتصرف في سائر الأمور عند الحياة والأحياء.

ولقد جادل المكيون رسول الله ﷺ في شأن دعوة التوحيد، وقال أنصار الشرك والتعدد: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥] وقال الدهريون المنكرون للإله بالكلية ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ [الجاثية: ٢٤]. وقال المقلدون: ﴿ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ (البقرة: ١٧٠).

هذه المكابرات من القريشيين توضح موقفهم من دعوة التوحيد. وهنا يبين الرسول لهم القول الفصل في هذا الأساس الوطيد، ويقول كما أمره الله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر: ٣٨].

وهكذا يجادلهم الرسول ﷺ بالأمور المسلمة لديهم؛ لأن تسليمهم بها يجعل النتائج مسلمة كذلك، بل إنه يجادلهم بالأمور البدهيه لتكون الحجة قطعية فيقول كما قال الله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

فترى الآية تتضمن جدلًا يسلم بمظنوناتهم، ثم يناقشهم فيها، وبالمناقشة يظهر بطلان رايهم، فكأنه قال: ليس مع الله إله آخر. ولو سلمنا بوجود آلهة أخرى معه كادعائهم الكاذب فإننا لا بد وأن نرى على ما هي العادة -فساد السماء والأرض، واستقلال كل إله بما خلق، وكون لنفسه ملكًا خاصًا به ولحدث الشجار والتعالى بين الآلهة، ولو كانت الآلهة أصغر من الإله الأكبر صاحب العرش لطلبت الآلهة سبيلًا إلى الله معاندة ومبالغة.

وكل ما كان منتظرًا كنتيجة للفرض المظنون لم يحدث، إذ لم تفسد السماء والأرض، ولم تستقل آلهة بملكها، ولم يتعال إله على إله، ولم تطلب الآلهة طريقًا إلى الله الأكبر،

(١) الإمام السيوطي: الإتقان، جـ٢ ص ١٣٧.

والنتيجة الحتمية هو أن التسليم باطل، والفرض المظنون كاذب لا صحة فيه. والثابت المؤكد هو أنه لا إله إلا الله.

وهكذا أسهم الجدل مع سائر الأدلة في إثبات الأساس الأول للدعوة، وهو الإيمان بالله وحده ورد افتراءات المعارضين.

وأما الأساس الثاني، وهو إثبات الرسالة لسيدنا محمد ﷺ فقد كثر الجدل حوله، إذ جحد المعارضون الرسالة واستبعدوا أن يكون الرسول ﷺ بشرًا من الناس وكذبوا. ﴿ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ﴾ [القمر: ٢٤].

ولم يستبعدوا إرسال البشر فقط، بل أخذوا في توجيه الاتهامات الباطلة يقول تعالى: ﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ ﴾ [الأنبياء: ٥].

ودارت مكابراتهم حول هذه الاتهامات فهو شاعر، وكاذب، وساحر وناقل، ولكن الرسول ﷺ جادلهم في دعاويهم. فلما قال: قال الكافرون (لست مرسلًا) أمره الله أن يرد عليهم بقوله ﴿ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ [الرعد: ٤٣] ذلك لأنهم جاهلون بالحقيقة، ويكفي أن يعلمها الله. ويعرفها من عنده علم الكتاب.

ويؤكد الله لسيدنا محمد ﷺ أن المعاندين مغالطون في دعاويهم، فيقول تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ﴾ [النحل: ١٠٣].

وذلك لأنهم اتهموا النبي ﷺ بأنه يأخذ الكتاب من رجل أعجمي، لكنه تلا عليهم بلسان عربي فكيف التوفيق، خاصة وأن النبي ﷺ أمي، ولم ينزل كتاب من قبل هذا، وأيضًا فهم يطلبون بأنه يكون الرسول ملكًا وهذا خطأ لأنه لا بد من حصول الفهم المشترك والقدرة على الخطاب. ولا يقدر على ذلك مع البشر إلا بشر منهم. ولقد وصل بهم حد التحدي إلى أن طلبوا من الرسول ﷺ أن يظهر لهم بعض الآيات الحسية العجيبة، لكن الله سبحانه وتعالى بسبب جدلهم ومكابراتهم يأمر رسوله ﷺ بأن يجيبهم ويقول له: ﴿ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾ [الإسراء: ٩٣].

إن المتتبع للحوار في مسألة إثبات النبوة لسيدنا محمد ﷺ ينتهي إلى وضوح بين بالرسالة وإمكانها وإثباتها.

والحوار - ثالثًا - يعرف بالناس ويبين طبائعهم. واتجاهاتهم، فإليهم توجه الدعوة، والعلم بأحوالهم ضرورة للداعية؛ ليتمكن من الأخذ بيد مدعويه على وجه لائق ومناسب.

والحوار - رابعًا - أسلوب حكيم يناسب كافة الطوائف الإنسانية؛ لأنه يسوق حججًا إقناعية في بعض الأحيان لتكون موعظة حسنة تثير الانفعال وتهيج النفس، وتدفع إلى الإيمان بما تدعو إليه، وفي هذه الحالة يتلاءم الحوار والجدل مع العامة والجمهور الغالب من الناس حيث يسلم بأفكارهم. وينتقل من فكرة معارضة إلى سواها حتى يصل إلى التصديق.

وفي أحيان أخرى تكون حجة الجدل قطعية يقينية، مثل قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

والحوار القرآني - خامسًا - يساير الواقع البشري شأن القرآن كله.

وهو في جملته خطاب بين الرسول ﷺ والبشر، ورواية عن مناقشات سابقة، والإنسان هو الإنسان في كل عصر وزمان - ولذلك جعل الله جدل القرآن فطريًّا ومنزوعًا من قضايا الواقع. حتى يكون في مقدور الخاصة والعامة من الناس.[1]

ثالثًا: دور الحوار في إبلاغ الدعوة:

الحوار القرآني وسيلة من وسائل الدعوة قام ويقوم بدوره على وجه كامل وذلك على النحو التالي:

١- الإقناع العقلي المجرد:

خاطب القرآن الكريم العقل، وناقش الخصوم مناقشة تعتمد على كثير من المسلمات؛ حتى يقطعوا بصحة المدعي أمامهم؛ وكأن الجدل في هذا المعنى يستنتج النتائج الصحيحة بعد ذكره للمقدمات الصادقة. ذكر السيوطي أن الإسلاميين من علماء الكلام استنتجوا من

(١) د. أحمد غلوش: مرجع سابق، ص ٤٠٣.

أول سورة الحج إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧] خمس نتائج وعشر مقدمات لها، أما النتائج فقد احتواها قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [الحج: ٦-٧].

وأما المقدمات العشر فهي سهلة الإيراد، وذلك أن الله أخبر عن يوم القيامة وزلزلة الساعة، وذلك حق منقول إلينا بالتواتر. ولا يخبر بالحق عما سيكون إلا الحق فالله هو الحق، وأخبر سبحانه وتعالى عن أهوال الساعة وعن قدرته الشاملة. ولا بد للساعة من إحياء الموتى فالله القادر يحيي الموتى فالله على كل شيء قدير، وأخبر عن الساعة وخلق الإنسان من تراب. وأماته بعد ذلك. وخلق الأرض وصدق خبره في كل ذلك، بدلالة الواقع المشاهد. ومن صدق خبره في ذلك صدق في أخباره عن مجيء الساعة. فصدق أن الساعة آتية لا ريب فيها. ولا تأتي الساعة إلا ببعث من في القبور فثبت أن الله يبعث من في القبور»[1].

هكذا نجد النتائج أمام العقل ثابتة صادقة، وهي نتائج ذات تأثير نفسي بالغ فهي لا تقف عند شكلية القياس؛ بل تجعل المجادل كلما وصل إلى نتيجة ازداد إيمانا وتصديقا؛ حيث تشتمل النتائج على إبراز حقيقة الألوهية، وقدرة الله، وتخبر عن إحياء الموتى وبعثهم في يوم الساعة الآتية بلا ريب، وتتحدث عن ضرورة الحساب على الأعمال.

ومن أجل الوصول بالعقل إلى إقناع كامل بالشيء الذي هو محل الجدل رأينا الجدل يأتي بالأمر المناقش فيه، ويحلله إلى منتهى أقسامه، ويرد كل قسم على حدة، لينتهي أخيرا إلى الرأي الحق وذلك كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨].

فترى هذه الآية تقسم الرأي في موسى عقليا؛ لأنه إما أن يكون كاذبًا وإما أن يكون صادقًا، فإن كان كاذبًا فكذبه عليه ولا يتعداه، وإن كان صادقًا فاتباعه نفع وفوز ونجاة والتقسيم يؤدي في النهاية إلى عدم التعرض لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وعدم محاولة قتله.

(١) السيوطي: الإتقان، جـ٢، ص ١٣٥، ١٣٦ بتصرف.

ومن هذا النوع قوله تعالى: ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٤٣) وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٣-١٤٤].

وقد رد الله في هذه الآيات على اليهود تحريمهم لذكور الأزواج المذكورة تارة، وتحريمهم لإناثها تارة ثانية، وتحريمهم لما في أرحام الإناث حسبما اتفق تارة ثالثة. فجادلهم الله في رده بطريق «السبر والتقسيم» فبين أنه خلق من كل زوج مما ذكر ذكرًا وأنثى، وسألهم عن سبب التحريم وعلته؛ لأن العلة إما أن تكون بسبب الذكورة أو بسبب الأنوثة معًا، أو بسبب خارج عن حدود مصدر الشيء المحرم كأن ينزل به وحي من الله. وتلك هي أسباب التحريم كلها. ولا يُعتقد سبب سواها.

ويترتب على هذه الأسباب أن يحرم الذكورة جميعًا إن كانت العلة هي الذكورة، أو يحرم الإناث جميعا إن كانت العلة هي الأنوثة، أو يحرم الذكور والإناث إن كانت العلة هي الذكور والأنوثة معًا، أو يحرم ما فصلّه الوحي إن كان هو السبب لكن السبب المشاهد أن اليهود يحرمون على هواهم فيحرمون هذا تارة، وذاك تارة أخرى، ويحللون الشيء بعد تحريمه، وقد حصر الله علة التحريم الممكنة وسألهم عن تحديدها إن وجدت، وبذلك أبطل فعلهم، وأثبت أن ما قالوه ضلال وكذب.

وهكذا بـ «السبر والتقسيم، ينزاح الشك، وتستريح النفس، ويتبقى العقل المجرد والفكر السليم»[1].

٢- مراعاة الطبائع النفسية:

يعتز كثير من الناس بآرائهم وأفكارهم، حتى وإن كانت خاطئة، والمعاندون أكثر الناس تشددًا في هذا المجال. والجدل يراعى هذه الناحية في مناقشاته، حيث ترى في طرق الجدل ما عرف بطريقة «مجاراة الخصم» ومجمل هذه الطريقة أن يسلم المجادل ببعض مقدمات الخصم للإشارة إلى أن هذه المقدمات لا تنتج ما يريد أن يستنتجه، وإنما هي بعيدة

(١) الإمام السيوطي: الإتقان جـ٢ ص ١٣٥، ١٣٦.

عنه. ومن أمثلة هذه الطريقة قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ۝١٠ قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾ [إبراهيم: ١٠-١١].

فدعوى الخصم أن الرسل بشر والبشر لا يستطيعون أن يتلقوا وحي الله، وهم بدعوى الرسالة يريدون صد أقوامهم عن عبادة الآباء والأسلاف. وبملاحظة رد الرسل عليهم نرى التسليم للخصوم بأنهم بشر، ويذكرون أن البشرية لا تتنافى أن يمن الله بالرسالة على من يشاء من البشر.

وفي هذا النوع من الجدل استدراج للخصم واستجلاب لإصغائه، وربما كان من الممكن بهذه الطريقة ثنيه عن الإنكار بعد بيان فساد العلاقة بين القضية المسلمة والنتيجة التي رتبت خطأ عليها. يقول الشهرستاني: «واعلم أن الموافقة في العبارة على طريق الإلزام على الخصم من أبلغ الحجج وأوضح المناهج»[1].

وفي «مجاراة الخصم» تقدير للفكر وللعقل السليم عن طريق تقدير قوله الصادق وعقله المكين.

ومن طرق الجدل التي تساير الطبائع الإنسانية، وترضى الغرائز البشرية ما عرف بـ «قياس الخلف» وهو جدل يثبت الأمر بإبطال نقيضه، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ٨٢].

فقد أثبت قول الله تعالى هذا أن القرآن من عند الله تعالى بإبطال أنه من عند غير الله، لأنه خلا من الاختلاف اللازم له لو كان من عند غير الله[2].

ومن الطرق التي راعت طبائع الناس مجاملة الخصوم وعدم الرد المباشر على دعاويهم مع عدم التسليم بها، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: ٢٤]. ومثل قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١]. وذلك لأن المجاملة أدعى إلى الطاعة، وأقوى في التأثير.

---

(١) الشهرستاني: الملل والنحل، جـ ٢، ص ٥٦.

(٢) د. أحمد غلوش: مرجع سابق، ٤٠٧.

٣- ملاحظة التنوع البشري:

يختلف الناس في مجادلاتهم فمنهم المجادل العنيد ومنهم المناقش السهل، ولقد راعى الجدل هذه الاختلافات. فمع العناد يلجأ إلى إفحام الخصم وإلزامه، ثم يأخذ بيده إلى الحقيقة، ويبينها له في وضوح.

فلقد كان المعاندون يطلبون في إصرار أن يكون الرسول ﷺ ملكًا لإزالة اللبس من إرسال البشر فرد الله إصرارهم في وضوح وإيجاز وعرفهم أنه لو أرسل ملكًا على صورته الملكية لهلك الناس من رؤيته. ولو جعله على صورة البشرية يعايشهم ويدعوهم في بشريته هذه لبقى اللبس وطلبوا ملكًا آخر. وهكذا في تسلسل لا ينتهي وهو محال نشأ من طلبهم المحال. وعليهم بعد ذلك أن يسلموا بالرسول البشر.

ومن أمثلة هذه المراعاة قوله تعالى:

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ [الأنعام: ٩١].

وفي هذه الآية بيان لإنكار اليهود إنزال الوحي على بشر هو محمد ﷺ، بينما هم يؤمنون برسالة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. وقد رد الله عنادهم وأفحمهم بأقصر طريق بسؤالهم عن مسلمات عندهم؛ هي من نوع ما ينكرون. ولذلك سألهم عن الكتاب الذي جاء به موسى وعمن أنزله عليه؟

وحينما يبدأ المعاند في إنكار المسلمات بإلقاء شبهه عليها. نجد أن القرآن الكريم في قصده الحق يأتي بطريقة تعرف «الانتقال»؛ حيث يترك ما ألقيت عليه شبهة الخصم، وينتقل إلى ما لا شبهة فيه، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

٤- الترغيب والترهيب:

يراعي الحوار القرآني هذا النوع في الخطاب؛ لأن الإنسان يحب الخير، ويسعى إليه ويكره الألم وينفر منه، ولهذا الغرض يسوق القرآن حوارًا يجري بين أهل الجنة وأهل النار. فيقول تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤]. والوعد المسئول عنه أشياء جاءت على ألسنة الرسل تظهر في الآخرة كالبعث والحساب ونعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار، ومجرد اعتراف الكفار بوقوع الوعود به يثير وجدان الكافرين ويجعلهم يرهبون مصيرهم بسبب الكفر. ويحاولون النجاة.

ويقول تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠]. وهذه الآية تبين أن الجنة فوق النار، وأن ماءها العذب ورزقها اللذيذ كثير، فيه فيض وسعة، إلا أنه مع كثرته محرم على الكافرين الذين أهملوا الرسالات، وجهلوا أن لهم هذا اليوم الموعود.

وهكذا يقدم الحوار القرآني صورًا متعددة من مناقشة الخصوم مما جعله وسيلة ناجحة للدعوة تملك التأثير في الناس وهدايتهم إلى الصواب.

وإذا كنا أبرزنا فيما تقدم أهمية الحوار في الدعوة الى الله تعالى، وكونه وسيلة للدعوة الى الله مباشرة ونافعة وهادفة، ثم أكدنا على دور الحوار في تبليغ الرسالات وتوصليها المنهج الإيماني الصحيح الى المتلقين؛ فإننا نتحول إلى خصوصية الحوار في المجال التربوي التدريسي مع الطلاب، وداخل المؤسسات التعليمية، وثمرات ذلك؛ مما سنعرض له في المبحث التالي.

المبحث الثاني
ثمرات الحوار في مجال التربية

يؤسس الحوار التربوي داخل قاعات الدرس على مجموعة من الأسس تقضي إلى تحقيق أفضل نتائج في التعلم، وهذا ما نعرض له بشيء من التفصيل في هذين المحورين.

أولًا: أهمية الحوار في المجال التعليمي (التدريسي)

منذ وجود البشر وقيام مجتمع بدائي بلا قانون يضبطه، ولا شريعة تقوِّمه، ولا نظام يهتدي به، والناس تتشابك مصالحهم وتستبد بهم الأهواء، ويشتد النزاع بينهم: فيحتكمون إلى السيف حينًا، وإلى الحجة الدامغة والكلمة أحيانًا: حيث كان على الإنسان أن يسوق كلمته قبل أن يسل حسامه، فربما كانت الكلمة البليغة أمضى من السيف، وأفضل من الرمح؛ لذا ظل اعتمادهم على الكلمة المنطوقة اعتمادا كبيرًا، حتى بعد أن عرفوا الكتابة، وصار تبادل الرسائل أمرًا مألوفا[1].

وهذا يؤكد اعتماد الأمم السابقة بشكل أساسي على الحوار؛ كطريقة فعالة لفض المنازعات، وربما يرجع هذا إلى أن الإنسان تعلم باكرًا ـ ولفترة طويلة من الزمن ـ أن يتكلم قبل أن يتعلم كيف يعبر عن أفكاره ومشاعره بشكل كتابي، ومع أن الكتابة اختراع قديم، إلا أنها إنتاج حديث إذا ما قورنت باللغة الشفهية.

ويطلق على العصر الذي نعيشه عصر التدفق المعرفي والثورة العلمية وتطبيقاتها الثقافية، كما أنه عصر تزايد المطالبة بالعودة إلى فطرة الله في الإنسان؛ أي العودة إلى الحرية المسئولة كأسلوب للحياة الإنسانية السوية، وهذا كله يتطلب من الإنسان الذي يعيش هذا العصر أن يفكر فيما يقوله، وأن ينتقي كلماته وأفكاره، وأن يعرض فكره بصورة معقولة، كما أن تقارب المسافات بين الدول، نتيجة لتطور وسائل النقل والمواصلات السريعة ـ أدى إلى قيام اتصالات حضارية جديدة ومعقدة؛ بحيث أصبح أي حدث يقع على بعد آلاف الأميال في أي بلد يكون له صدى في بقية البلدان.

---

(١) محمد طاهر درويش: الخطابة في صدر الإسلام، القاهرة، دار المعارف، ، ١٩٦١، ص ٨١.

وتقتضي الحياة الكريمة التي تقوم على الشورى إتقان أشكال الاتصال الشفهي وألوان النشاط اللغوي، وأن يكون كل فرد قادرًا على التحاور مع الآخرين وإقناعهم؛ لكي يستطيع أن يؤدي دوره في المجتمع.

والشورى تقوم على الحوار المتبادل كحق مطلق لكل مواطن؛ مما يتيح للعقول أن تتفاعل، وتصل إلى الحل الأفضل، ويستطيع كل فرد أن يقدم فكره ونفسه للعالم، ويعبر عن نفسه بما يصله بالآخرين، ويصل الآخرين به، خاصة في ألوان النشاط اللغوي المختلفة؛ من ندوات؛ إلى مؤتمرات، إلى جماعات، ومناظرات... وغيرها.

ومع تعقد شئون الحياة وتطورها؛ تغير تفكير الناس، وتغيرت أساليب الحياة اقتصاديًّا واجتماعيًّا وسياسيًّا، وأخذت الكلمة المنطوقة سبيلها تحت قبة البرلمان، ومجالس المدن والقرى، والهيئات، والجماعات؛ ومن هنا أصبح الإنسان في حاجة فعلية إلى الحوار في وسط ما يعيشه من اختلاف مذاهب، وتضارب آراء، واضطراب أفكار تحول بينه وبين الرؤية الواضحة الصحيحة للأمور.

والحوار أحد الأشكال الرئيسة للاتصال اللغوي والاجتماعي بالنسبة للإنسان؛ يتحدث به إلى الآخرين، ويتحدث الآخرون إليه باعتباره جزءًا مهمًّا في الممارسة اللغوية التي يمارسها الأفراد في الحياة؛ فالناس يتحاورون أكثر مما يكتبون، ويقدر ما يكون لدى الإنسان من قدرة على عرض وجهة نظره بطريقة واضحة وإقناع الآخرين بها، بقدر ما ينجح في اتصاله بالآخرين وفي إنجاز الحوار الهادئ الهادف المقيد؛ فهو يعتمد على الحوار بشكل أساسي عندما يريد استمالة غيره من أفراد المجتمع والتأثير فيهم؛ فيحملهم على أن يسلكوا سلوكا معينًا، وبدون امتلاك مهارات الحوار لا يوجد لنا بقاء في عالم اليوم، ولا ننسى أن الإنسان في حياته العادية وفي آية مرحلة من مراحل العمر لديه الميل والرغبة في أن يتحدث، ويعبر عما يفكر فيه وعما يفعله، وقد يستطيع بأقواله وأفعاله أن يقنع السامع، ويسيطر عليه، ويكسب تأييده وثقته.

وإذا كان للحوار هذه الأهمية، فإننا يجب أن نوليه عناية كبرى في مدارسنا، وأن نحرص على تدريب التلاميذ على كيفية إتقان التحاور وإتقان الآخرين، وإذا كانت

العملية التربوية تعتمد على ما يجري من اتصال بين جميع الأطراف المشتركة في المواقف التعليمية[١]، فإن الحوار أو الحديث هو وسيلة هذا الاتصال وجوهره، سواء أكان هذا التحاور بين المعلم والتلاميذ، أم بين التلاميذ بعضهم وبعض.

إن الفرد الذي لا يكون قادرًا على المشاركة فيما يجري من اتصال في المواقف التعليمية، لا يمكن أن يتعلم على النحو المرغوب فيه، كما أن التدخل المستمر من جانب المعلم فيما يجري من اتصال بين التلاميذ، يقلل من عائد هذه العملية. والمشكلة الرئيسة في هذا الشأن، هي أن المعلم يستخدم طرقا تقليدية تعتمد عليه في معظم الأحيان، ويعتبر أن وظيفة الحديث أو الكلام هي نقل الحقائق والمعلومات إلى التلاميذ، ومن ثم فإن جوهر الاتصال هنا ما يجري من حديث بينه وبينهم من أجل الوصول إلى غايات تفوق تلك الغاية من حيث الأهمية.

وإذا كان تدريب التلاميذ على الحوار يعُينهم على أن يحيوا حياة فاعلة متجاوبة مؤثرة - ولا سيما في المجتمع الديمقراطى - فإن معظم التربويين يؤكدون أن تنمية قدرة التلاميذ على التحاور من أهم الأغراض في تعليم اللغة؛ فليس هناك شيء يقتنيه المتعلم في حياته أثمن من تمكنه من لغته القومية، واستطاعته أن يعبر عما في نفسه؛ وإن يقف على قدميه في مجالها الفكري.

ومن ألزم واجبات المدرسة أن تأخذ بأيدى تلاميذها في مجال التعبير، وأن تعودهم الاشتراك في المناقشات الجماعية المنتظمة في أسلوب واضح سليم، يقوم على الإقناع وأن تدربهم عند تعاملهم اللغوي بالفصل الدراسي على ان يقدموا أفكارهم دون تقييد أو إكراه؛ لأن قدرة أفراد المجتمع على التحاور الهادئ الرزين النافع، وقدراتهم على الاستماع للآخرين، وعرضهم وجهات نظرهم، ومحاولة إقناع الغير بها من العوامل المؤثرة في تقدم المجتمعات.

وممارسة الحوار يمكن أن تكسب التلاميذ مهارات متنوعة من خلال هذه المواقف، تجعلهم قادرين على التحاور النافع مع الآخرين، وعلينا بعد ذلك أن نعدهم للمواقف والأنشطة الحوارية التي يشاركون فيها كدافع لهم على التحاور والإقناع. وتتمثل أهمية الحوار فيما يلي:

(١) فارعة حسن محمد: المعلم وإدارة الفصل، القاهرة، سلسلة معالم تربوية، ١٩٩٣ م، ص٥٥

١- تنمية اللغة الشفهية أساس بالنسبة لفنون اللغة الأخرى، كما أن الأطفال الذين يستطيعون تقديم أنفسهم بطريقة فعالة عندهم النية أن ينجحوا في مجالات أخرى من فنون اللغة.

٢- في الحوار فرصة لاحترام رأي الطالب وتشجيعه على التفكير وتقديم الآراء والمقترحات، حتى لو كان فيها ما يغاير المألوف، وإذا استطعنا أن نحترم كل نتيجة يصل إليها التلميذ - مهما كان مستواها - بغض الطرف عن رأينا فيها، وإذا غرسنا فيه الثقة بالنفس، وعرضناه لمواقف تتطلب التفكير والموازنة، لوصل تدريجيًّا إلى الاستقلال في التفكير.

٣- يزيد الحوار من القدرة على اكتساب المهارات وإصدار الأحكام وتكوين الآراء، واتخاذ القرارات، كما يساعد الحوار على إحداث تطوير في المعلومات ودعم الروابط والعلاقات الاجتماعية؛ مثل علاقة الصداقة، ويساعد أيضًا على اكتساب روح التعاون وأساليب العمل الجماعي.

٤- المشاركة الإيجابية التي تتحقق من خلال الحوار تجعل تعبير التلاميذ عن حالاتهم الانفعالية يتخذ شكلًا طبيعيًّا، يصل بهم إلى القدر المرجو من الاتزان الانفعالي، ويمكن للمعلم أن يدرب التلاميذ على ضبط انفعالاتهم وتهذيبها في جو من الصداقة والود؛ مستثمرًا كل فرصة في تنمية ثقتهم بأنفسهم.

٥- يساعد الحوار على كسر حصار الخجل والتهيب، ويزيد من جرأة التلميذ ومن قدرته على المواجهة؛ فأثناء التحاور يقف مع زملائه متحدثًا ومستمعًا، وهو باعتياده هذه المواجهة بألف مواجهة الآخرين؛ مما يغرس الثقة بالنفس. ويساعد الحوار على علاج أمراض النطق التي تعود إلى أسباب نفسية أو الإحباط الذي تعرض التلميذ له في مواقف سابقة.

كما يخفق الحوار من الصراع النفسي والشعور بالإحباط والقلق؛ وذلك من خلال السماح للتلميذ بالتعبير عن نفسه.

وتوجيه النقد والمشاركة الجماعية في الحوار؛ مما يخفف من درجة توتره وقلقه، ويوفر لديه قدر كبير من التوافق.

٦- تمكن التلميذ من مهارات الحوار واكتسابه أسلوب الشورى القائم على النظام واحترام الرأي المعارض، يشعره بأهمية آرائه، ويزيد من إقباله على الدراسة.

٧- يُعد الحوار تجميعًا للآراء والخبرات المختلفة؛ بحيث يظفر كل عضو في النهاية بحصيلة أكبر من تلك التي كانت لديه؛ أي أنها مصدر للثقافة وخلق الوعي ودعم الوحدة الفكرية بين أفراد المجتمع، ويمكن الحوار التلاميذ من زيادة خبراتهم الشخصية عن طريق منافذ المعرفة المختلفة؛ لأن هذه الخبرات تمنحهم فرصة للحديث، وتجلب لهم التفات الآخرين، والنظر إليهم نظرة تقدير واحترام، كما تنمى معلومات التلاميذ وثرواتهم اللغوية، وتحثهم على البحث والاطلاع.

٨- يساعد الحوار على تنمية الجانب القيادي لدى الطلاب؛ حيث يشعرهم بكيانهم الاجتماعي وسط جماعة الرفاق، وباستقلال شخصياتهم وتفردها، حين يعبرون عن مشاعرهم، أو حين يتكلمون بدلًا منهم. كما أنه يساعد على اكتشاف الطلاب الموهوبين ومساعدتهم؛ لتنمية تلك الموهبة إلى أقصى حد ممكن.

٩- الحوار فرصة لاكتساب التلاميذ مجالات اللياقة الاجتماعية في التحدث، واكتساب آداب التحدث مع الآخرين، والسيطرة على الصوت، وتنويع طبقاته، وتدريب التلاميذ كذلك على كيفية الوقوف للتحدث والهيئة التي يكون علها الشخص وهو يقف أمام الآخرين.

١٠- تكسب الحوار التلاميذ بعض المبادئ الأخلاقية، ويمكن المعلم من تعديل بعض الممارسات والسلوكيات غير السوية.

١١- تعويد التلاميذ الجرأة، والارتجال، وسرعة الخاطر، والاعتماد على النفس في الحصول على المعلومات، وحرية النقد[1].

خصائص الحوار التربوي:

١- أن يقوم الحوار على التواضع، أما إذا تعالى كل طرف على الآخر واتهمه بالجهل؛

(١) بثينة محمود محمد: مرجع سابق، ص ٨٦.

فسيتحول الحوار إلى نزاع بين الأطراف المتحاورة، ويصبح مجرد صيحات وصراع. وقد ينتهي بالعداوة والكراهية والإحباط وتبادل الاتهامات ومحاولات الانتصار على الخصم.

٢- الحوار الجيد يقوم على الحب؛ فيصعب تواجده في غيبة الحب، كما يجب أن يقوم الحوار على الإيمان واحترام الآراء، ويساعد على نشر الحب، ويجنب أصحابه العنف والانفعال والكراهية والتسلق والمبالغة؛ وبذلك يوجد فريقًا متعاونًا يتبادل أفراده الحب، ويفهم كل منهم الآخر، وهذا هو الحوار الناضج.

٣- إعطاء كل الأفراد حق التحاور، مع احترام وجهات النظر المعارضة غير أن حرية إبداء الرأي لا تعني الهجوم على الأطراف المعارضة لمجرد الاختلاف؛ أي يجب أن يعرف التلاميذ - بوضوح - أنه من واجب كل فرد أن يستمع إلى زملائه وهم يتحدثون أو يعبرون عن أفكارهم.

٤- الحوار الجيد يساعد على بناء علاقات جادة بين التلاميذ بعضهم وبعض، وبينهم وبين المعلم، ويكتسب التلميذ ثقة بالنفس، وإدراكًا عميقًا لحقه في الاختلاف مع الآخرين، وحق الآخرين في الاختلاف معه، كما أنه يكسب التلاميذ أسلوبًا جديدًا في معالجة أمور حياته.

٥-الحوار الجيد لا يتناول الفكرة باعتبارها مسلمة أو بدهية، وإنما يتناولها بالتحليل والنقد؛ مما يكسبها أبعادًا جديدة أكثر عمقًا، وهذه الأبعاد لا يمكن اكتسابها إذا كانت من طرف واحد، وإنما تكتسب من أفكار التلاميذ واتجاهاتهم المتعددة، وهذا بالطبع يبرز الفكرة.

٦- الحوار الجيد يقوم بين أفراد واعين قادرين على تحليل المواقف بشكل مرن متحرر من التمسك والتعصب بالأفكار الشخصية؛ يساعد فيه المعلم تلاميذه على أن يفسروا ويستنتجوا؛ معتمدين على معرفتهم بالمعلومات السابقة.

٧- يعتمد الحوار الجيد على لياقة التلاميذ المتحاورين، وكياستهم وإحساسهم بالمسئولية نحو أنفسهم ونحو الجماعة.

٨- يتسم الحوار بالبعد عن الاتجاهات الجدلية، وكذلك البعد عن السفسطة التي لا طائل من ورائها؛ مما يساعد كذلك على إصلاح الأفكار الخطأ الهدامة، وترسيخ الأفكار البناءه المثمرة.

٩- الحوار الجيد تتوافر فيه الدوافع النفسية التي تثير حماس التلاميذ، وتصور عبارته وأفكاره حسب مشاعر التلاميذ، وتنبع من نشاط تفكيرهم لا تفكير غيرهم، وتبرز ميولهم في صدق و إخلاص[١].

١١- في الحوار الناجح يجب أن يتكلم التلاميذ أكثر من المعلم، على أن يتم تبادل الأفكار الموجهة نحو تحقيق هدف معين.

وبعد أن أبرزنا أهمية الحوار في الجانب التعليمي (التدريس) وخصائص الحوار التربوي الجيد، فإننا نتناول أثر وسائل الحوار في مجال التربية وذلك فيما يلي..

ثانيًا: أثر وسائل الحوار في مجال التربية:

سنتناول فيما يلي وسائل الحوار وأثرها في مجال التربية، وكيفية إسهام الحوار في التربية الصحيحة على نحو ما يمكن توضيحه فيما يلي:

الوسيلة الأولى: التبليغ بالقول (الكلمة) وأثره:

إن تبليغ الدعوة بالكلمة يمثل المرتكز الأول لنشر الدعوة إلى الله وبثها في الناس موالين كانوا أم معادين، وقد كان التبليغ بالكلمة، وهو منهج النبيين عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين، ونزل كتاب الله سبحانه وتعالى إلى محمد ﷺ وأمره جل وعلا بتبليغ ما فيه لأقرب الناس إليه، قال تعالى ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

ثم وسع له دائرة الدعوة، فأمره بإعلانها وأخبره بحمايته من المستهزئين، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ

(١) بثينة محمود محمد: مرجع سابق، ص ٩٣.

إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر: ٩٤ - ٩٦].

ويبين رسول ﷺ منهجه في الدعوة بقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨]. واستجابة لأمر الله بقوله: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥].

واستخدام الكلمة في الدعوة إلى الله له أنواع عديدة، وهذه الأنواع كما ذكرها صاحب فقه الدعوة يمكن تفصيلها على النحو التالي:

١- الخطبة:

والخطبة لون من ألوان القول يحشد له الخطيب من الأسباب ما يمكنه من التأثير في سامعية وجذبهم إلى جانب ما يدعوهم إليه عن طريق:

أ- الإقناع بما يسوق من حجج وبراهين.

ب- الإمتاع بحسن اختيار الكلمات وجميل العبارات وملائم الإشارة والدقة في اختيار الموضوع الذي يشد اهتمام الناس مع حسن سمت الخطبة وجميل صوته وقدرته على إجادة فني الوصل والفصل في الكلام[١].

وللخطيب مؤهلات فطرية: تنحصر هذه المؤهلات في عنصرين اثنين هما:

أ- العقل السليم.

ب- اللسان المبين[٢].

واللبنات التي تقوم عليها الخطابة:

أ- المجادلات والمحاورات ووسائل الإقناع من حجة ومنطق وبرهان، وشواهد

(١) علي عبد الحليم محمود: فقه الدعوة الى الله، ج١، ص ١٦٩

(٢) عبد الرحمن خليف: كيف تكون خطيبًا، ص ٧٧.

لذلك علَّم الإسلام الناس أصول الحوار للوصول إلى الحق، وعلمهم كيف يحتجون وينافحون عن الحق والقرآن هو أعظم مدرسة لتبيين مناهج الحوار لإظهار الحق.

ب- بساطة الأسلوب ولذلك كانت كلمات القرآن سهلة ميسرة ليس فيها إغراب ولا بعد في المعاني.

ج- الاختصار والتركيز لأن آفة الخطابة التطويل خشية الإملال، ولذلك نلاحظ أن أسلوب الإيجاز هو الوارد في القرآن وهو الغالب.

٢- المحاضرة:

أسلوب من أساليب القول يجالس فيه المتحدث من يتحدث إليهم ويتكلم معهم بما يحضره، ولذلك سميت محاضرة، ويقال فلان حسن الحاضرة أي مجيد لحديثه مع الناس من حيث تنويرهم وإقناعم بما يقول[1]. والمحاضر يطرح موضوعًا معينًا، وله هدف معين من هذا النوع، وعدة المحاضر هي:

١- المعرفة الجيدة بالمنهج العلمي.

٢- التدقيق في اختيار موضوع المحاضرة بحيث يكون مما يشغل المخاطبين في حاضرهم ومستقبلهم.

٣- استعمال الألفاظ العلمية الدقيقة الواضحة الدلالة، والابتعاد عن الألفاظ الموهمة أو الفضفاضة التي تحتمل وجوهًا عديدة.

٤- الابتعاد عن التصوير الخيالي للمعاني.

٥- أن يكون موضوع المحاضرة ولغتها والحوار الدائر فيها من جانب المحاضر ملائما لمستوى السامعين ولطبائعهم وظروفهم الاجتماعية والسياسية والثقافية؛ حتى تحقق المحاضرة هدفها وحتى يتأسى المحاضر بأدب مخاطبة الناس على قدر عقولهم، وهو من أبرز علامات التوفيق في المتكلم أيا كان نوع كلامه.

---

(١) علي عبد الحليم محمود: فقه الدعوة إلى الله، ج ١، ص ١٧٣.

٣- الدرس:

هو دعوة إلى الله بالكلمة عن طريق حلقة تعقد مع عدد من الناس حضروا إلى مَنْ يدرس قصدا في أي مكان ملائم، والدرس وسيلة مهمة من وسائل تفقيه الناس في أمور دينهم ودنياهم، كما أنه وسيلة جيدة لإيجاد علاقات وروابط بين المهتمين بشئون دينهم من الناس ولابد أن يختار موضوع الدرس بدقة وعناية بحيث يحقق ملاءمة ويثير اهتماما لجمهور الناس الذين يتلقون الدرس، ولكي ينجح الدرس لا بد له من أمور:

١- أن تكون لغته سهلة وألفاظه خالية من الغريب.

٢- العبارات واضحة تنقل المعاني إلى ذهن السامع دون إسراف أو التزويق.

٣- الاستشهاد بالأمثال والقصص للسابقين.

ومن أهداف الدروس:

١- محاورة الناس وسؤالهم والإجابة على أسئلتهم.

٢- التأثير في الناس وربطهم بالعقيدة الصحيحة.

٣- تقرير مفاهيم صحيحة وتصحيح مفاهيم خاطئة.

٤- غرس القيم الفاضلة والأخلاق.

وعند النظر إلى الخطبة والمحاضرة والدرس ومراجعة ما ورد في القرآن الكريم من حوار بين الأنبياء وأقوامهم نجد أنه يحتمل الأساليب الثلاثة فشعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ يسميه المفسرون خطيب الأنبياء لحسن مراجعة قومه وبراعته في إقامة الحجة عليهم ودحض حججهم، وقد جاءهم بينة من ربه على صدقه فيما يدعو إليه[1].

ونوح قد نوَّع في وسيلة دعوته ومواعيدها حتى لكأنه كان يتعهدهم بدروس مستمرة أثمرت مع فئة قليلة وفشلت مع الباقية.

(١) عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، ، ص ١٤٥.

وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في خطابه مع فرعون وملئه يبدو وكأنه يلقي عليهم محاضرات يبين فيها دعوته وصفات إلهه ويتحداهم بالمعجزات.

٤- الرسالة:

وهي استخدام الكلمة في الكتابة إلى الغير ودعوته إلى الله وإلى الحق من خلال هذه الكتابة أو عقد صلة مودة مع الآخرين. ولا بد من تحديد هدف الرسالة والموضوع الذي تدور حوله وينبغي أن يكون مثيرا لاهتمام المرسل إليه، ولا بد لكي تحقق الرسالة هدفها من أمور:

١- أن تكون لغتها سهلة واضحة للمرسل إليه.

٢- أن يكون تعبيرها جميلا وأسلوبها لطيفا رقيقا.

٣- أن تحتوى على موضوع الرسالة (ويبتعد فيه عن الاستفزاز)[١].

وقد ضرب لنا رسول الله ﷺ أروع المثل في استخدام هذه الوسيلة لتبليغ دعوة الله ومن ذلك رسالته ﷺ إلى هرقل عظيم الروم وكان نصها[٢].

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم السلام على من اتبع الهدى

أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [آل عمران: ٦٥].

وفي القرآن ذكر لنا تعالى أن سليمان قد استخدم هذه الوسيلة مع بلقيس حين أرسل لها رسالة مع الهدهد ألقاها إليها يدعوها فيها إلى الإسلام، قال تعالى: ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ (النمل: ٢٩-٣١).

---

(١) عبد الحميد البلالي: فقه الدعوة في إنكار المنكر، ص ١٥١.

(٢) علي عبد الحليم محمود: عالمية الدعوة الإسلامية، ج٢، ص ٤٦٩.

٥- المقالة:

وهي فن من فنون القول كالرسالة، وهي وسيلة جيدة لعرض الفكرة والمشاعر في موضوع من الموضوعات المهمة بأسلوب متقبل جذاب (والمقال المثمر هو الذي يلامس حاجة الفرد، ويمس قضايا الأمة، ويبتعد عن الألفاظ الصعبة، وهو المتوسط فليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل، وهو الذي يختار له صاحبه عنوانا جذابا براقا يجذب العيون، ويستحب للمقال المثمر أن يكون مقسما ومجزءًا إذا دعت الحاجة إلى ذلك، وأن يكون ذا عناوين هامشية لكل فقرة، فذلك أدعى للقراءة وأحب للقارئ[١].

٦-الكتاب:

وهو وسيلة مهمة من وسائل الدعوة، وفي إنزال الله تعالى الكتب على الأنبياء إشارة إلى خطورة هذه الرسالة، فإن لكل أمة كتاب ومنهج، وقد كان قرآننا كتابا خالدا محفوظا من التبديل والتغيير. ولذلك نهج السلف في تأليف الكتب يبينون أفكارهم وينشرون علومهم ويثبتون عقائدهم ليتوارثها الأجيال فتكون علما ينتفع به.

وإن بعض أصحاب المنكر من لا يستطيع بعض الدعاة إقناعهم بسبب فارق الثقافة الشاسع يمكن لهم استخدام الكتاب ليتكلم عنهم ويقوم بعملية إقامة الحجة على صاحب المنكر، وقد يهتدى بسببه[٢].

الوسيلة الثانية: التبليغ بالعمل وأثره:

تعني هذه الوسيلة أن على المحاور أن يلجأ إلى الأسلوب العملي القائم على تلبية احتياجات الناس في إصلاح حالهم أو إبعاد الشرور عنهم وحمايتهم من كل ما يفسد عليهم أمور دينهم، وعلى ذلك فالتبليغ بالعمل يتناول مناشط وهي:

١- الأمر بالمعروف.

٢- النهي عن المنكر. وهما وسيلتان قوليتان عمليتان.

(١) عبد الحميد البلالي: فقه الدعوة في إنكار المنكر، ص ١٦٥.
(٢) عبد الحميد البلالي: فقه الدعوة في إنكار المنكر، ص ١٦٣.

وذلك لتكون حياة الناس على هذه الأرض آمنة مطمئنة منتجة نافعة، تصلح الدنيا وتعد للآخرة وسواء أكان هؤلاء الذين يعيشون هذه الحياة داخلين في الدين الإسلامي منتمين إليه أم كانوا يعيشون في كنف نظامه وتحت مظلته فلا فرق لأن الحياة الإنسانية يجب أن تكون كريمة آمنة منتجة نافعة لكل أحد، فلابد من وجود أنظمة تسير هذه الجماعة، وهذه الأنظمة لا يمكن أن ينفذها المسلمون أو يقوموا على أمرها إلا إذا كانوا أصحاب قوة وشجاعة وتضحية؛ فبذلك يمكن الله لهم دينهم الذي ارتضى[1].

مبادئ عامة للأمر المعروف والنهي عن المنكر:

١- أن عامة المسلمين مطالبون بأن يأمر كل واحد منهم بالمعروف وينهى عن المنكر في حدود قدرته.

٢- أن جماعة من المسلمين لا بد أن تتحد وتمارس هذا الواجب وذلك هو الحد الأدنى.

٣- أن الالتزام به يحقق الأمن والرخاء ويوجب الجنة.

٤- أنه يحتاج إلى قوة ومنعة لأطر الناس على الحق أطرًا.

٥- أن التخلي عنه يوجب عذاب الله ومنع المغفرة وعدم استجابة الدعاء.

مراتب ودرجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١- التعرف على وجود المنكر والتأكد منه بلا تجسس.

٢- التعريف بالمنكر فقد يقدم عليه بجهل.

٣- النهي بالوعظ والنصح والتخويف من الله.

٤- التعنيف بالقول الغليظ عند العجز عن اللين وعدم جدواه.

٥- التغيير باليد بحيث يبطل صلاحية المنكر.

---

(١) علي عبد الحليم محمود: فقه الدعوة إلى الله، ج١، ص ١٣٣ ـ ١٣٤ «بتصرف».

والتغيير باليد له قيود:

أ- تعذر الإنكار بغيره.

ب- غلبة الظن بإحداث منكر أشد منه.

جـ- توافر القدرة[١].

٦- التهديد والتخويف.

٧- مباشرة الضرب باليد فإذا اندفع المنكر كف[٢] ومع أن الأصل في دعوة الناس هو الرفق والمداراة إلا أن بعض الناس لا ينفع معه الرفق بل إن الرفق يجعله يتمادى في منكره ويجعله يتجرأ ويستخدم يده لضرب صاحب الإنكار وربما أثر إعلانه بمنكره على بعض الضعاف فيجعلهم يتشجعون لفعل المنكر جهارًا أمام الناس خاصة إذا كان منكره يحمل طعنًا في العقيدة وفي مثل هذا الوضع لابد لصاحب الإنكار أن يقوم بزجر صاحب المنكر وأن يريه غضبه على ذلك حتى يكون هذا سببًا لردعه عن التمادي في منكره[٣].

والحق أن علماء الأمة لم يلجأوا إلى التعنيف والتهديد إلا عند كثرة الجدال وعدم الرغبة في الإيمان وظهور التحدي والعناد من أقوامهم ثم انتظار العذاب من الله، ولم يقتصر الأمر في ذلك على الأنبياء بل هذا حال المصلحين في كل زمان ومكان.

وخير مثال نسوقه على ذلك قصة أصحاب القرية الذين يعدون في السبت فقد بين تعالى في قصتهم وحوارهم مع الآخرين بالمعروف الناهي عن المنكر عدم استجابتهم لهم والعقوبة التي حلت بهم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾

(١) عبد الحميد البلالي: فقه الدعوة في إنكار المنكر، ص ١٢٨.
(٢) د. علي عبد الحليم محمود: فقه الدعوة إلى الله، ج١، ص ١٤٦.
(٣) عبد الحميد البلالي: فقه الدعوة في إنكار المنكر، ص ١٢٨.

فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٣- ١٦٨].

الوسيلة الثالثة: التبليغ بالقدوة ودوره:

إذا توافر الفكر النير ثم الكلمة الطيبة جاء دور العمل الصالح نعمله ونجعل من أنفسنا فيه للناس أسوة حسنة ومثالا يحتذى به، فما لم نحول ما ندعو إليه إلى سلوك عملي لنا وحياة نحياها بقلوبنا ووجداننا بسلوكنا ونهجنا فيدرك المخاطبون إخلاصنا وصدق نياتنا من خلال الروح السارية في كلماتنا والمؤكدة بالسلوك العملي لنا، فإننا لن نجد من يصغي إلينا وكذلك عصم الله أنبياءه من سائر المنفرات ونشأهم على السلوك الحسن قبل النبوة وبعدها عصمهم من الذنوب[1]؛ لأن القدوة الحسنة من أهم وسائل الدعوة، وهي وسيلة عملية ناجحة تضع أمام المدعو صورة حية يستطيع أن يقتدى بها، غير أن هذا الأسلوب محفوف بالمحاذير التي منها:

١- غرور الداعي أو إعجابه بنفسه أو عمله:

إن إعجاب الإنسان بنفسه والنظر إليها بعين الكمال والفخر والتطاول على الناس بالعلم والصلاح أو الجاه أو المال خلق ذميم يجعل صاحبه ممتنعًا عن قبول الإصلاح من جهة، ويزرع العداوة والبغضاء بينه وبين الناس[2].

٢- ربط الناس بالأشخاص لا بالمبادئ.

٣- عدم تطابق ظاهر بعض الدعاة مع بواطنهم.

---

(١) طه جابر العلواني: الدعوة الإسلامية: الوسائل ـ الخطط ـ المداخل، ص ٧٨.

(٢) سيد سابق: دعوة الإسلام، ص ٢٠٤.

وقد عدّ العلماء هذه الأمور آفة الدين التي تصيب الناس بالشك لا في الدعاة، ولكن في الدعوات ذاتها[١]، ولكن لكي يتجنب الداعية هذه المحاذير لابد له من:

١- عمق الإيمان بالله وحسن الصلة به.

٢- دقة الفهم لعمله ودعوته.

٣- المداومة على العمل الصالح وحب الخير للناس.

٤- النصيحة بالوقت والجهد والمال في سبيل الدعوة.

٥- التواضع لله والاعتراف بالتقصير.

٦- حسن الخلق والتأسي برسول الله.

٧- مراقبة الله سبحانه وتعالى في كل عمل وقول.

٨- الاجتهاد لمصلحة المسلمين ودفع الضر عنهم[٢].

الوسيلة الرابعة: أسلوب الشرح والتفسير لأصول الدعوة، وأثره:

إن القرآن الكريم كله في مجمله شرح وتفسير وعرض لأصول الدعوة إلى الله وجميع الحقائق الدينية التي تتصل بذات الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر والحقائق التي تتصل بالشريعة والمنهج تحدث عنها القرآن إجمالا وتفصيلا، ومن خلال إثبات هذه الحقائق وذكر حججها وبراهينها؛ يكون عرضها وعرض مبادئها وآدابها، وهذه أمثلة لما ورد في القرآن من حوارات حول هذه القضايا لشرحها، وتفسيرها:

١- العقيدة في ذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقضاء والقدر. فقد ذكر تعالى في سورة طه في تفسير موسى وهارون لفرعون وشرحهم لمعنى كلمة الرب التي استغلقت عليه قال سبحانه ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٩].

---

(١) أحمد فائز: طريق الدعوة في ظلال القرآن، ج١، ص ٥٥.

(٢) علي عبد الحليم محمود: فقه الدعوة إلى الله، ج١، ص ص ٢٣٦ـ ٢٣٧.

٢- العبادة من توحيد وصلاة وصيام وزكاة وحج ونوافل وقربات. لقد ذكر تعالى الحوار حول القبلة وتحويلها فقال جل وعلا: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [[البقرة: ١٤٢].

٣- المعاملات الإسلامية من عقود كالزواج والطلاق والبيع والرهن والمواريث وغيرها، وهذه الأحكام قد بينها الله تعالى في القرآن لأن المسلمين كانوا يحتاجون إلى معرفتها، ليسألوا رسول الله ﷺ في أمر النساء قال تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٢٧].

وفي الإنفاق قال تعالى: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النساء: ١٧٦].

٤- الحدود والقصاص والحرابة وقتال أهل البغي والجهاد في سبيل الله. ومن الحوارات في هذه الموضوعات ما ورد في سؤالهم عن الجهاد في سبيل الله تعالى في الزمان والمكان إنه شرح مفصل وتفسير لما استغلق عليهم، قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

٥- كل ما يتصل بالفضائل ما فرض فيها وما ندب إليها مثل الصدق والوفاء والعفة

والأمانة وصلة الأرحام والبر والصبر والشجاعة وإكرام الضيف وغوث الملهوف وعون المحتاج والرضا.

كما بين تعالى بعض الصفات المذمومة التي يجب على الإنسان الابتعاد عنها، فمن الصفات التي ذكرها الله تعالى الرضا، ويشير القرآن الكريم في أكثر من موطن إلى أن الرضا المحمود الجميل الطيب الأثر هو الرضا بما يأتي به الله وبما يأمر به وبما عند الله أما ارتضاء غير هذا مما يخالف أمر الله وحكمه فهو رضا مذموم ومشؤوم، ولذلك جاء في سورة التوبة على سبيل التعريض والمؤاخذة[1]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [التوبة: ٣٨]. وجاء فيها أيضًا: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴾ [التوبة: ٨٣]. ويوجه الله المنحرفين إلى طريق الرضا السليم فيقول: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ [التوبة: ٥٩]. فأساليب العرض لم تخرج عن استخدام أحد الأساليب التالية:

١- الأسلوب القصصي للوصول إلى نتيجة معينة للعبرة أو التهديد أو النصح.

٢- أسلوب إثارة بالسؤال لشد انتباه المخاطبين.

٣- أسلوب التسلسل لمساعدة المخاطبين على فهم نقاط الموضوع والوصول إلى النتائج[2].

الوسيلة الخامسة: أسلوب الرد على الشبهات والمفتريات:

جرت عادة الناس وغلب عليهم منذ أن جاءتهم الأنبياء والرسل بالدين السماوي أن يقف عدد كبير أغلبهم من أصحاب الجاه والسلطان موقف العناد والرفض والتكذيب للرسل متهمين الحق مفترين عليه، فما سلم نبي من تهمة توجه إليه أو إلى ما جاء به، وتظل

(١) أحمد الشرباصي: أخلاق القرآن، ص ٦٤.

(٢) راكان عبد الكريم حبيب: طرق الخطابة والألفاظ، ص ص ٩٧ - ١٠٠.

هذه الشبه والمفتريات حائلا بين بعض الناس، والدخول في صفوف الحق لذلك لابد من دفع هذه الأباطيل حتى يتمكن أصحاب الفكر السوي من رؤية الحق والتمسك به، وقد اتبع هذا الأسلوب القرآن الكريم في كثير من مواضعه، ورد على كثير من الأباطيل والمفتريات والشبه التي تثار؛ والتي قد تكون أحيانا:

١- ضد الله عَزَّوَجَلَّ وتأليف الأكاذيب من اليهود والنصارى قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [آل عمران ١٨٣].

وقال سبحانه: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠].

٢- ضد القرآن الكريم نفسه في أنه من عند غير الله وأنه أساطير الأولين وأنه ملفق من الأديان التي سبقته وأنه مفترى قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [يونس: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [هود: ١٣-١٤].

٣- ضد الرسول ﷺ من أنه اختلق القرآن، وطعنوا في الوحي، واعتبروه صرعًا وأن الذي علمه القرآن أحد الروم، وأنه بشر أو أنه لا بد أن يكون ملك.. إلى آخر ذلك. ومثال ذلك ما حكاه القرآن الكريم في هذه القضية قال تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الأنعام: ٩-١٠].

ونرى كيف رد عليهم القرآن أروع رد؛ لأنه، لو كان على هيئة ملك لم يستطيعوا رؤيته ولو كان على هيئة البشر ما صدقوه، فالنتيجة واحدة، وقد بين تعالى في مكان

آخر الرد عليهم حيث قال: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩٦].

وقال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم: ٤].

الوسيلة السادسة: أسلوب التعهد والتربية والإعداد وأثره:

يقوم هذا الأسلوب على تعهد المدعو وعقد صلة طيبة به وربطه بالدعوة ربطًا وثيقا وتربيته وفق منهج الإسلام تربية تستوعب كل جوانب شخصيته وتعهده بالنماء والاستقامة.

هذه التربية تعد المسلم للقيام بكل عمل يتطلبه منه الإسلام في أي مجال من مجالات العمل وبالرغم من أن طريقها أطول وأسلوبها أصعب إلا أنه الأسلوب الأمثل والأهدى والأقدر على الوصول إلى الهدف بأمان وسلام.

وقد تعهد الله سبحانه وتعالى أنبياءه عليهم السلام بتربيتهم والاعتناء بهم ويكفينا مثالا على ذلك تعهده لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ منذ ولادته وأثناء دعوته قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [طه: ٣٧-٤٠].

وقال سبحانه في سورة القصص: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٤]. وبلوغ الأشد الذي ورد في حق الأنبياء معناه أنهم بلغوا من تعهد الله لهم وتربيته، وإعداده الحد الذي جعلهم أهلا لتحمل أعباء الرسالة، وما يترتب على ذلك من مواجهة الناس، ومحاولة لنقلهم من الضلال إلى الهدى[1].

(١) علي عبد الحليم محمود: فقه الدعوة إلى الله، ج١، ص ٢٢٦.

وقال تعالى: ﴿ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾ [طه: ٤٠-٤١]. إنها عبارات تدل دلالة واضحة على رعاية الله المستمرة لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حتى هذه المرحلة ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد حتى عند بعثه لفرعون وإحساس موسى بالخوف تجيء كلمات الله ورحمته؛ لتقوى موسى في هذه المواقف يقول تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٥-٤٦]. وتستمر العناية الإلهية ويبدو ذلك واضحا عند خوف موسى ساعة لقائه بالسحرة وتحديهم؛ ليجيء الاطمئنان لقلبه يقول تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [طه: ٦٧-٦٨]. ولذلك كان موسى في غاية الثقة من معية الله يقول له قومه ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ [الشعراء: ٦١] فيقول عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء: ٦٢].

وهذه العناية الإلهية قد تولى الله بها سبحانه أنبياءه الكرام فها هو يحمي يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من القتل ويمكّنه من خزائن الأرض، ويقر عين أبيه به، وهذا نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يحميه فترة دعوته ويكون معه عند صناعة الفلك وينجيه، وهذا يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يربيه عند خطأه ويحفظه في بطن الحوت وينصره، وإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قوة في الحجة وذكاء للنقاش وحماية من النار وطمأنينة في القلب وعناية مدة الحياة وحفظ له ولذريته.

وهذه رعاية دائمة في كل فترة من فترات الحياة مادامت الدعوة قائمة.

الوسيلة الثامنة: أسلوب الترهيب والتهديد وأثره:

الترهيب: كل ما يخوف المدعو ويحذره من الاستجابة للباطل وقبوله والبعد عنه بعد معرفته[1].

إن غرض الدعوة بهذا الأسلوب يجذب الناس حول الحق خوفًا من العقاب وخوفًا من فقدان السلامة والأمن، فالنفس البشرية تؤثر السلامة على الخوف والخطر، والرجاء أعلى

(١) عبد الكريم زيدان: أصول الدعوة، ص ٤٢١.

منزلة من الخوف، والعمل على الرجاء أفضل منه على الخوف، لأن أقرب العباد إلى الله أحبهم إليه.

ولكن من الناس من لا يستجيب إلا إذا خوّف، وهدد وسبحان الله في خلقه، وفيما فطرهم عليه، إن خوف الله ينبني على العلم بالله، ومعرفته وأخوف الناس لربهم أعرفهم بربه وبنفسه (فالمؤمن حقًا هو الذي يخاف ربه ويرجو رحمته وعفوه). فالخوف من الله هو اللجام القامع عن المعاصي وسببه معرفة شدة عذاب الله ويسمى خشية ورهبة وتقوى، فالمؤمن يخاف من ذنوبه ويخشى الخاتمة[١].

وقد قال بعض السلف: (الخوف سوط الله يسوق به عباده إلى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بهما رتبة القرب من الله، وإذا كان الإنسان لا سعادة له إلا في لقاء ربه والقرب منه ولا قرب من الله إلا بتحصيل محبته والأنس به في الدنيا ولا محبة بغير معرفة ولا معرفة إلا بدوام الفكر ولا أنس إلا بدوام الذكر ولا مواظبة على الذكر والفكر إلا بانقطاع الشهوات ولا قطع للشهوات بشيء كالخوف فهو النار المحرقة للشهوات)[٢].

وللترهيب طرق عديدة فمن طرقه:

١- التخويف من غضب الله وعذابه في الدنيا وعند الموت، وفي الآخرة عند الحساب وبعده من النار، وما يصيب الإنسان في الدنيا من الخوف والجوع والفزع وبيان أحوال الأمم السابقة البائسة، وبالتحذير من عدم نيل الدرجات العالية في الجنة ومرافقة الأنبياء والشهداء والصالحين[٣].

فالخوف وسيلة للرجوع إلى الجادة وترك المعاصي لذلك استخدم شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ مع قومه هذا الأسلوب قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ [هود: ٨٤].

---

(١) أحمد محمد طاحون: مرشد الدعاة إلى الله، ص ٣٤٧.

(٢) أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج١، ص ١٣٩ «بتصرف».

(٣) هشام يوسف محمد بنان: المنهج الدعوي في أصول المحاضرة الدعوية، ص ٢٤٩، وانظر أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان، ص ٤٢١ وما بعدها.

وبين الله تعالى عاقبة الذين ادعوا أن الله هو المسيح بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ ترهيبًا لهم من مقالتهم وتهديدًا حتى يعودوا، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢].

وأبو الأنبياء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يبين حبه لأبيه وخوفه عليه ولعل هذه المشاعر تكون سببا في رجوعه إلى الله وخوفه من عذاب الله يقول تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾ [مريم: ٤١-٤٧].

٢- ومن أساليب الترهيب ذكر أهوال يوم القيامة وعذاب النار.

ومن ذلك ما ورد في حوار ابني آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث قال: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ ۚ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧-٢٩].

إنها صورة مرسومة بمنتهى الدقة تنقلنا إلى موقع الأحداث كأننا نرى الأخوين وهما يتحادثان أحدهما تظهر عليه سمات الخير والصلاح ولا يملك إلا لسانه يتحدث به يستثير الخير في أخيه يخوفه بالله، والآخر يتطاير الشرر من عينيه والحقد من حركاته والحسد في لفتاته ويصر على موقفه، فتصف لنا الآيات ذلك: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٣٠]. ولنا أن نتخيل طريقة القتل وأن نتخيل ندمه وحسرته وخسرانه بعد ما اقترفت يداه الإثم.

الوسيلة التاسعة: أسلوب الإقناع وأثره:

يعتبر الإقناع أحد الأساليب التي يستخدمها المحاور في حديثه للتأثير على المتحاورين وإقناعهم بالفكرة وإيجاد الحافز الذاتي للوصول إلى الغاية وتحقيق الهدف والحافز الذاتي هو: (القوة الداخلية للإنسان المحركة لعواطفه والموجهة لإرادته والدافعة له حتى يمارس سلوكًا معينًا داخليًا أو خارجيًا)[١].

وهناك أساليب أصلية تندرج تحتها كل الأساليب هي:

١- أسلوب الإقناع بالشخصية.

٢- أسلوب الإقناع بالعاطفة.

٣- أسلوب الإقناع بالمنطق.

وهذه الأساليب يتداخل بعضها مع بعض، وهي بمجموعها يكمل بعضها بعضا، ولا يدل ترتيبها على حسب الأهمية بل إن هناك بعض الأساليب يتحتم استخدامها، وهذه الأساليب هي:

الأسلوب الأول من أساليب الإقناع: التعبير:

التعبير هو الحديث الذي يتكلم به المحاور لفظًا ومعنى، وأساس هذا الأسلوب التحدث باللغة العربية الفصحى و(إذا استطاع المحاور أن يبسط حديثه بشكل يفهمه الناس فليفعل، وإن لم يستطع تكلم معهم باللهجة أو اللغة التي يفهمونها)[٢]. والمهم مراعاة عدم الإخلال في هذه الأمور حتى يكون اللفظ المنطوق على قدر المعنى المقصود والهدف المنشود دون زيادة أو نقصان، كما يراعى أن يكون اللفظ واضحًا قريب المعنى سهل الإدراك وألا يكون مبتذلا وألا يتكلف فيها حتى يكون أداؤه صادقا. قال تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦].

(١) عبد الرحمن حبنكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، ج١، ص ٢٠٢.
(٢) عبد الله علوان: مواقف الداعية التعبيرية، ص ٨.

وعلى المحاور أن يستفيد من تعبيره في ثلاثة أمور هي:

١- الخيال.

٢- السجع الجميل.

٣- الصورة.

فأما الخيال: فقد ضرب القرآن الكريم أروع المثل في إبداع التعبير؛ حيث يأتي ببعض الألفاظ ثم يترك للخيال أن يستكمل الصورة.

الأسلوب الثاني من أساليب الإقناع: التدرج التربوي وإيجاد الحلول:

يُعني هذا الأسلوب بتنمية الوجدان والضمير وهذا يحتاج إلى وقت ومثابرة وصبر وليس الأمر إلا لله إذا أراد شيئا قال له كن فيكون. ويتضمن هذا الأسلوب أيضًا إيجاد البديل عن كل ما ينهاهم عنه المحاور لكي يملأ الفراغ الذي أوجده في النفوس، ويكون بالحلول العملية لا المثالية التي ليس لها وجود على حيز الوجود وإن الآيات التي ذكرها الله تعالى عن نبيه لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه لتصف مشاعره وضيقه وتقديمه الحلول لهم وتحريك عقولهم. قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود: ٧٧-٧٨].

ويكفينا لتبين هذه الأسلوب أن نذهب بجولة مع مؤمن آل فرعون لنرى كيف يتدرج الإنكار على قومه درجة درجة حتى يفصح لهم في النهاية عن إيمانه الذي كان يكتمه كل هذا بأسلوب يمتلئ بالذكاء ودقة متناهية بالتدرج والإنكار[1]. فبعد قرار فرعون بقتل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [(غافر: ٢٦).

هنا قام رجل من آل فرعون يكتم إيمانه ليدافع عن موسى وليرد كيدهم عنه بأسلوب ذكي[2] قام يلاين قومه ويرغبهم من ناحية ويخوفهم من عذاب الله من ناحية أخرى

(١) عبد الحميد البلالي: فقه الدعوة في إنكار المنكر، ص ٨٤.

(٢) عبد الحميد البلالي: فقه الدعوة في إنكار المنكر، ص ٨٤.

بأسلوب عذب قوي[١] وبتدرج مدروس متقن في جولة مع أصحاب القرار بحوار قد قسمه إلى أقسام ودرجات وأخذهم معه درجة؛ كي يقروا ما يريد إنكاره عليهم.

لقد تفنن المؤمن في عرض حججه فساقها مرة في صورة استفهام ومرة في صورة الدليل العقلي، ويثبت لهم بالأدلة المنطقية أن الذي يدعونه لعبادته ليس له دعوة ولا يستطيع الاستجابة لمن دعاه ثم يعذر إليهم بقوله:

﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٤].

الأسلوب الثالث من أساليب الإقناع: استخدام وسائل الإيضاح:

استخدام وسائل الإيضاح من أهم الأساليب لإفهام الآخرين فكرة معينة أو إثبات رأي على حسب قوة الوسيلة ودقة وبراعة المحاور في استخدامها وهي وسيلة لإقناع الطرف الآخر بإفهامه الجزئيات للوصول إلى قبوله للفكرة، وليست هناك وسائل خاصة بل إن الإنسان هو المحرك لجميع الوسائل، وفي هذا يقول عمارة نجيب:

(يُعد الإنسان أداة الدعوة الأولى ووسيلتها وهو كذلك لدى جميع الدعوات والمذاهب والاتجاهات، وقد يظن أن الوسائل الحديثة أصبحت أكثر تأثيرًا وفاعلية من الإنسان وهذا خطأ ظاهر لأن جميع الوسائل القديمة والحديثة المباشرة وغير المباشرة لو اجتمعت دون الإنسان لأصبحت فارغة المحتوى لا قيمة لها ولا أثر)[٢].

ووسائل الإيضاح قد تكون طبيعية من الكون حولنا، وقد تكون أجهزة أو تجارب علمية أو أدوات وقد تكون حسية أو معنوية.

وبالنسبة لأنبياء الله كانت وسائلهم الإيضاحية هي معجزاتهم لإظهار قدرة الله تعالى وإقناع المخاطبين بعبادته وتوحيده. ففرعون لم تقنعه هذه المعجزات واعتبرها سحرًا قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ

(١) سيف الدين شاهين: أدب الحوار في الإسلام، ص ٨٨.
(٢) عمارة نجيب: فقه الدعوة والإسلام، ص ١٨٥.

يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾ [طه: ٥٦-٥٩].

وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يظهر وسيلته، ويتحدى فرعون، ويحدد الوقت، والطريقة التي تساعده على إظهار الحق.

وتظل الدعوة إلى الله هي الهدف الأسمى ويظل الحوار أروع وسيلة من وسائلها، ويظل تأثيرها قويا ما دام الحوار له هدف وغاية، وما دام المحاورون مخلصين في حوارهم، عندئذ يتعلم الناشئة كيف يتعلمون الحوار، وأدب الحوار، وتُنمى لدى التلاميذ في مراحل التعليم المختلفة القدرة على التفاهم والتحاور دونما جمود على رأي واحد أو فكرة ثابتة، إن الجانب التربوي يتحقق من خلال استخدام المعلم لطرق التدريس مثل الحوار والمناقشة والاكتشاف والتنقيب والعصف الذهني والتعلم الجماعي، وكلها تسهم في تدريب التلاميذ على استيعاب الأخر، والقدرة على الرد الصحيح الهادئ دونما انفعال أو تعصب أو اندفاع.

ومن ثمرات الحوار في التربية أن اعتياد الأبناء والناشئة الحوار يثبت الأفكار لديهم، ويجعلهم يقبلون على المناقشة بحب وشغف، وعندئذ يستمعون أكثر مما يتحدثون، ويتفاعلون بأدب ومراعاة لظروف الآخرين، ويتعلمون آداب الحوار التي عرضنا لها في الفصل الثالث، ويتعلمون كيفية الحوار مع الذات ومع الآخرين مما عرضنا له في الفصل الخامس، ويتعلمون مستقبل الحوار مع الحضارات الأخرى مما عرضنا له في الفصل السادس.

المبحث الثالث
ثمرات الحوار في مجال الثقافة والتعامل الحضاري مع الأمم الأخرى

أولا: الحوار وإسهاماته الثقافية في علاقة الإسلام بالغرب:

بداية لا بد أن ندرك: أن الثقافات العالمية بدأت تتلاقى؛ نتيجة ثورة وسائل الاتصال والانتقال. فالجهل المتبادل بالآخر على مستوى العالم لم يعد قائمًا.

كما أن الحواجز بين الشعوب والثقافات سقطت. وصار الناس في أجزاء مختلفة من العالم يتعرفون على بعضهم فيكتشفون أوجه الاختلاف والاتفاق.

كذلك هناك الإحساس المتبادل بين المجتمعات الإنسانية بوجود أخطار مشتركة على العالم كله تتجاوز حدود الثقافات والعقائد الدينية والقوميات. مثل أخطار العنف في العالم، ونفاد الموارد خصوصًا المياه، وتدمير البيئة نتيجة الإسراف في التصنيع[1].

وجاء في تمهيد كتاب: «الإسلام والمسيحية» لأليكسى جورافسكي: إن دوامة الحياة الإنسانية المعاصرة. تشكل في الواقع إحدى السمات الكبرى لعصرنا الحاضر.

فالنمو المتصاعد للنقل النوعي للبلدان النامية في الاقتصاد العالمي، وفي السياسة الدولية، ونهضتها الثقافية التجديدية سواء المرتبطة بتعرفها خصائص الثقافة العالمية وقيمها أو بتنشيط التراث الثقافي التقليدي لهذه البلدان وإحيائه مجددًا، والتأثيرات المتسارعة لمنجزات الثورة العلمية التقنية.

وعمليات الهجرة إلى قارات ومجتمعات أخرى، وتطور وسائل المعلومات والاتصال الجماهيرى، والسياحة العامة على نطاق جماهيري. كل هذه المعطيات غيرت وجه العالم، وغيرت رؤية الناس وإدراكهم لهذا العالم الجديد أيضًا.

---

(١) الدكتور أحمد كمال أبو المجد: الاتجاه إلى حوار إسلامي غربي، جريدة الحياة، الجمعة، ٢١ مارس ١٩٩٧، ص ١٨.

وبالإضافة إلى ذلك فإن تطور العلم الذي أسهمت فيه العلوم الإنسانية إسهامًا كبيرًا خاصة في ميادين: التاريخ، والإثنوغرافيا، والإنتروبولوجيا، وعلم النفس؛ أغنى كثيرا الرصد العقلي لإنسانية جمعاء؛ بحيث ساعد بدوره على تكوين نمط جديد من التفكير، وظهور أساليب وطرق متجددة مبدعة في دراسة الكون، ومشكلاته العامة من زاوية إنسانية شمولية[١].

وقد لا يخفى على باحث أن: ابتعاث رسول الله ﷺ كان منعطفا تاريخيا في حياة الناس جميعا، وتحولا حضاريا متميزا في نهج حياتهم وتعاملهم. تحول الخطاب فيه من قومية الأديان ومحدودية مقاصدها، إلى عالمية الإسلام وشمولية دعوته وتكامل مقاصده، ومن عزلة المجتمعات البشرية وتضادها وتصارعها إلى وحدة الأسرة البشرية وتعاون مجتمعاتها.

حيث سمع الناس لأول مرة في تاريخهم الإنساني فكرة المجتمع الإنساني الواحد (يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب).

كما سمعوا أيضًا لأول مرة فكرة التعايش السلمي بينهم من غير تمايز بينهم على اختلاف أقوامهم وأجناسهم وأعراقهم وأديانهم وأوطانهم[٢].

وكان النبي ﷺ يعمل على نشر الإخاء الإنساني الذي يتجاوز المسلمين إلى غير المسلمين. لذا نجد الرسول ﷺ يعقد مع اليهود حلفًا أساسه التعاون على الخير، وحماية الفضيلة، ودفع الأذى وحماية المدينة من كل اعتداء ومنع الظلم، وردع المجرمين العابثين بالأمن، وأكد النبي ﷺ ذلك بالمواثيق.

والإسلام الحنيف لا يكتفى بمحو أسباب التفرق والنزاع بين الناس؛ بل يدعو إلى التسامح العام لشأن التسامح داوى القلوب المكلومة، ويجتذب النفوس النافرة.

فالإسلام منهج للناس جميعا، ومقاصده لخيرهم وفلاحهم، وخطابه لهم على اختلاف أقوامهم، وأجناسهم، وأعراقهم، وأديانهم.

---

(١) أليسكي جورافسكي: الإسلام والمسيحية، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٦م، ص ١٨.

(٢) د. حامد أحمد الرفاعي: الإسلام والنظام العالمي الجديد، ط: كتاب دعوة الحق رقم ١٤٦، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، صفر ١٤١٥هـ، ص ص ٦٧ - ٦٩.

فهو تحول حضاري شامل ينتقل بالناس من ضيق القوميات، والأعراق، والأجناس، إلى سعة الأسرة البشرية، وتعاون مجتمعاتها في إطار منهجية المجتمع الإنساني الواحد، وفي إطار منهج التعاون بين الناس جميعًا على أساس من قيم ربهم[١].

ولا شك أن للغرب وحضارته علاقات ولقاءات بالمسلمين وحضارتهم على مدى التاريخ. وقد يكون مفهوما لدى الباحثين أن المصالح الاقتصادية، والعلمية، والتقنية تتداخل لدرجة أن المصالح السياسية أحيانًا تبدو متشابكة بل ومشتركة في بعض الميادين.

ومما لا يخفى أن الإسلام قدم نظرة شاملة للكون والحياة والإنسان. وأن هذه النظرة تبقى أساسية وصالحة للبشر في كل زمان ومكان.

وهذه النظرة تشمل الأخلاق، والاقتصاد، والاجتماع، والسياسة، ومن هذه المنطلقات قامت الحضارة الإسلامية على مبدأين مهمين: هما التغيير والاستشراف.

ولعل فواتح كتب الرسول ﷺ إلى إمبراطور الروم وكسرى الفرس توضح هذين المبدأين.

فقد جاء في رسائل الرسول ﷺ بعد المقدمة: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وهذه الآية الكريمة جاءت لتقرر مبادئ إسلامية في علاقات المسلمين بالغرب:

- مبدأ الاعتراف بالآخرين.
- مبدأ الحوار وأهميته.
- مبدأ احترام المشيئة الذاتية لدى الآخر.
- مبدأ استشراف المستقبل في ظل علاقات إنسانية سامية.

وفي تاريخ التفاعل المتبادل بين الشرق الإسلامي والغرب. لعبت العلاقات الإسلامية المسيحية دورًا خاصًا.

---

(١) د. حامد أحمد الرفاعي: الإسلام والنظام العالمي الجديد، ص ١٤٤.

فالمسيحيون والمسلمون على حد سواء كانوا يتصفون دائما بإدراكهم الرابطة الروحية المشتركة ـ وإن كانت محدودة الأبعاد ـ التي ترجع إلى التقليد الإبراهيمي الشرق أوسطي أو إلى الأرومة الإبراهيمية التوحيدية، وفي الوقت نفسه كانوا يدركون الاختلاف الجوهري بالنسبة لخبراتهم في المجال الثقافي الأيديولوجي.

وبدءًا من انتشار الإسلام ونشوء الخلافة الإسلامية ظهر التضاد الديني الأيديولوجي بين الغرب والمشرق العربي، ولكن عملية التواصل الثقافي بين الإسلام والغرب لم تنقطع كليًا[1].

وإذا كان الإسلام يدعو إلى الحوار مع الغرب واللقاء بالغربيين؛ فقد كان هناك لقاء عملي تم بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي من خلال المؤسسات العلمية التي قامت في الأندلس.

حيث جاء أبناء الغرب من الجزر البريطانية، ومن فرنسا، وألمانيا، والأراضي المنخفضة وغيرها يأخذون عن المسلمين علومهم، وعادوا بها إلى بلادهم حيث استطاع الغرب بذلك أن يؤسس نهضة صناعية وزراعية.

وقد أرسل الملك جورج ملك بريطانيا وفدًا من بنات الأشراف الإنجليز؛ مكونًا من ثماني عشرة فتاة برئاسة ابنة أخيه الأميرة: «دوبونت».

ورافق الوفد أحد كبار موظفي القصر الملكي البريطاني هو النبيل سيف ديك، ومع الوفد هدية ثمينة للخليفة.

وجاء في رسالة الملك جورج إلى الخليفة الأموي بالأندلس بعد مقدمة ودية: « لقد سمعنا عن الرقي العظيم الذي تتمتع بفيضها الصادي معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة. فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج من هذه الفضائل؛ لتكون بداية في اقتفاء آثاركم لنشر أنوار العلم في بلادنا. وقد أرسلنا ابنة شقيقنا الأميرة (دوبونت) على رأس بعثة من بنات الأشراف الإنجليز، لتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم، وحماية الحاشية الكريمة،

(١) أليسكي جورافسكي: الإسلام والمسيحية، ص ٢٧.

وعطف اللواتي سيتوفرن على تعليمهن. وقد أرفقت الأميرة الصغيرة بهدية متواضعة لمقامكم الجليل، وأرجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص».

وعند وصول البعثة أمر الخليفة باستضافة جميع أعضائها والمرافقين في قصره وإحاطتهم بكامل الضيافة، وتخصيص نفقة مالية لكل منهم من بيت مال المسلمين. وبعث الخليفة هشام السادس آخر الخلفاء الأمويين في الأندلس بخطاب جوابي إلى الملك البريطاني جاء فيه:

«لقد اطلعت على التماسكم فوافقت على طلبكم بعد استشارة من يعنيهم الأمر. أما هديتكم فقد تلقيتها بسرور زائد، وبالمقالة أبعث لكم بغالي الطنافس، وهي من صنع أبنائنا وهدية لحضرتكم وفيها المغزى الكافي للتدليل على اتفاقنا ومحبتنا، والسلام لله»[١].

والمتأمل ـ أعماقا وأبعادا ـ في علاقة الإسلام بالغرب. يجد أن المسلمين عندما شعروا بالتأخر الذي أصاب بلادهم بعد سقوط الخلافة العثمانية، وجدوا أن الفرصة مناسبة لتعلم علوم الغرب، ولذا كانت هناك محاولات تطويرية قامت في مصر على يد محمد علي، وامتدت بعد ذلك إلى كثير من بلاد المسلمين.

وقد سافر بعض الشباب المسلمين إلى إوربا، وأخيرا إلى أمريكا لطلب العلم؛ حيث استطاع كثيرون أن يكتسبوا علومًا، ونظما، وطرائق، في مجالات الفيزياء، والكيمياء، والرياضيات، والطب والتربية، والإدارة، والعلوم الإنسانية، وعادوا إلى بلادهم يدعون إلى التقدم في مجالات الطب، والزراعة، والصناعة، والتعليم، والتنظيم الإداري[٢].

ومن المسلم به أن علاقة الإسلام بالغرب هي علاقة إنسانية تدفعها الرغبة في العيش الكريم، والسلام الشامل، بين جميع الناس. سيما وأن المسلمين يملكون حضارة هي في أساسها ومقوماتها حضارة إنسانية.

وإن وجود أقليات إسلامية في المجتمعات الأخرى، وفي الغرب بالذات. يساعد المسلمين على تحقيق حوار حضاري. وذلك بأن تكون الأقليات عنصرا فاعلا في النسيج الاجتماعي

(١) د. سعيد عطيه أبو عالي: الإسلام والغرب حوار لا صراع، ط: كتيب المجلة العربية، الرياض، العدد الأول محرم ١٤١٨ هـ، مايو ١٩٩٧، ص ص ١٣ - ١٥.
(٢) د. سعيد عطية أبو عالي: المرجع السابق، ص ١٥.

في كل بلد تعيش فيه هذه الأقليات. وذلك من خلال الإخلاص في العمل، والصدق في القول والوعد، والمبادرة إلى فعل الخير للآخرين، وإشباعه روح المودة في المجتمع الذي يعيشون فيه، واحترام عقائد الآخرين[١].

كذلك المراكز الثقافية الإسلامية تؤدي دورًا كبيرا في تقريب وجهات النظر.

ولابد أن نمد يد الصداقة لمؤسسات ومعاهد وجامعات في الغرب تعني بدراسة التراث الإسلامي وطريقة التفكير لدى المسلمين. مثل جامعة هارفارد، وجامعة بيل في أمريكا، وكامبردج، وأكسفورد، وجامعة لندن في بريطانيا، والسوربون ومعهد العالم العربي في فرنسا.

وقد ظهر عدد من القيادات الغربية يتحدثون عن الإسلام، ويحاولون أن يتحدثوا عنه بإنصاف، وفي مقدمتهم سمو الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا.

ولهذا كان على أمتنا الإسلامية أن تنظر إلى الغرب من خلال فقه العلاقات الدولية، وفقه المصالح الإنسانية المشتركة، وفقه التعايش البشري، مع التنوع في الأديان والأعراق والأجناس. في إطار التدافع الإنساني لتحقيق المصالح، وصرف الفساد عن الأرض: وفق منهجية السياسات الشرعية لفقه الأولويات، وفقه الموازنات، وفقه المصالح، وفقه الضرورات، وفقه الرخص والعزائم وغيرها[٢].

وإذا تم النظر إلى الغرب من خلال هذه المعالم أدركنا أن هناك عناصر اتفاق، وإحساسًا مشتركًا يكونان في النهاية بنية أخلاقية تحتية لحركة المجتمع الإنساني، وهذا يأخذنا إلى توضيح الفعال المثمر في تحقيق التفاعل الحضاري مع الأمم الأخرى من خلال التأكيد على الثمرات الثقافية للحوار مما سنعرض له فيما يلي:

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٨ - ٣٠.

(٢) د. حامد أحمد الرفاعي: الإسلام والنظام العالمي الجديد، ص ٥٧.

ثانيا: الحوار ودوره الإعلامي والثقافي في التفاعل الحضاري مع الأمم الأخرى:

بوسعنا أن نورد هنا فاعلية الحوار ونتائجه وثمراته في مجال الإعلام عن ثقافة هذا الدين للآخرين، وأن الحوار فعال في تعريف غير المسلمين بالإسلام، ونقل الثقافة الإسلامية في صورتها النقية إليهم على نحو ما نفصله فيما يلي:

١- الحوار لأجل التقارب، وذلك بمسالك شتى منها:

أ- التنازل عن شيء من الدين أو أخذ شيء من دينهم لإتمام ديننا، يقول جمال الدين الأفغاني في خاطراته بعنوان نظرية الوحدة: (وجدت بعد كل بحث وتنقيب و إمعان أن أديان التوحيد الثلاثة على تمام الاتفاق في المبدأ والغاية، و إذا نقص في واحد منها شيء من أوامر الخير المطلق استكمله الثاني، وعلى هذا لاح لي بارق كبير أن تتحد أهل الأديان الثلاثة مثلما اتحدت الأديان في جوهرها وأصلها وغايتها[١] وقد تبنى محمد عبده محاولة التقريب بين الإسلام والمسيحية وتفاوض مع القس الإنجليزى إسحاق تيلور، وقد أشار إلى ذلك رشيد رضا، ونشر رسالتين منها في الجزء الثاني من تاريخه، وبين اشتراك اليهود فيها[٢].

وقد ظهر هذا بشكل واضح في مؤتمر الحوار بلبنان عام ١٩٧٠ م إذ كتب مسيحي في التقارير في نهاية الحوار: (وفي الحوار يكشف الشخص المنتمى إلى عقيدة معينة وعلى الرغم من التزامه الديني أنه في احتياج إلى بعض النقاط التي تؤكد عليها بالأكثر عقيدة أخرى ـ وأوضح مسلم بعد ذلك ـ إن الإسلام وقد بدأ تاريخه من مركز قوة وانتصار يحتاج اليوم إلى الفكرة المسيحية عن الألم الذي هو طريق الانتصار)[٣] ـ، فإنه إن عذر النصراني بقوله لتحريف دينه، فما عذر المسلم الذي أكمل الله له الدين، وأتم عليه النعمة: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ

(١) مصطفى فوزى غزال: دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، ص ٢٤٧.

(٢) محمد محمد حسين: الإسلام والحضارة الغربية، دار الإرشاد، بيروت، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٩م، ص ص٩٧ـ٩٨.

(٣) وليم سليمان: الحوار بين الأديان، تقديم عبد العزيز كامل، (د. ت)، ص. ص ٥٣-٥٤.

وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣]. فالإسلام ليس فيه نقصان يكمل من أي عقيدة أخرى، فقد أتمه الله وبلغه النبي ﷺ كما أوحى إليه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة ٦٧]. والزيادة والنقصان ليس لها ضابط ولا نهاية، فمن بدأ ولو بشيء يسير فقد اتبع منهجا آخر وترك الوحي المنزل: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٩]، فلا يجوز سلوك هذا المسلك لأي مصلحة كانت حتى لو كان بها تأليف قلوب أهل الكتاب وكسبهم، لأن الدعوة إلى الله ليس هذا طريقها، ولا يبدأ بها بإثبات نقص الدين وحاجته إلى ما سواه، أو الميل إلى الكفار لأخذ ما عندهم، وإنما طريقها بإثبات كمال الدين وحسنه، ونقص ما عداه، وبالدعوة بالتي هي أحسن كما بينه الكتاب والسنة.

ب- ومن مسلك التقارب مشاركتهم فيما هم فيه من العبادات، وهذا ليس أمرا جديدًا، فقد عرض هذا النوع على النبي ﷺ كما روي ابن إسحاق أن الأسود بن عبد المطلب والوليد بن المغيرة، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل السهمي - وكانوا ذوي أسنان في قومهم - اعترضوا رسول الله ﷺ وهو يطوف بالكعبة فقالوا: يا محمد هلم فنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيرا مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه، فأنزل الله فيهم: ﴿ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ [الكافرون: ٢-٦][1].

فلا تلاقي في منتصف الطريق حتى لو كان المسلمون في مرحلة ضعف لأن الدين يجب أن يكون في نقائه ووضوحه.

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية ٢/١٠.

وفي مؤتمر الحوار الذي عقد بلبنان عام ١٩٧٠م وحضره ثلاثة من الهندوس وأربعة بوذيين وثلاثة مسلمين وثمانية وعشرون مسيحيًا، كانت هناك فترات للعبادة المشتركة بقيادة واحد من الحاضرين[١] فصلى المسلم خلف عبدة الأوثان كما يصلون وأقرهم على ما هم عليه، بل شاركهم فيها !! ولا حول ولا قوة إلا بالله. ولا شك أن فعل شيء من ذلك يعد من الكفر الأكبر؛ لأن عبادة غير الله شرك أكبر باتفاق المسلمين بل إن إقرار الكفار على ما هم عليه من الكفر المخرج من الملة، فكيف بالمشاركة!.

ج- ومن مسالك التقارب إقرارهم على دينهم وتصحيحه لهم، أو مدحه باعتباره دينًا صحيحًا. أو مساواته بالإسلام. وكثير من المتفلسفة يقولون بهذا القول فيجعلون دين اليهود والنصارى كالإسلام، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن التتار: (وكذلك الأكابر من وزرائهم يجعلون الإسلام كدين اليهود والنصارى، وأن هذه كلها طرق إلى الله بمنزلة المذاهب الأربعة عند المسلمين، ثم منهم من يرجح دين اليهود أو دين النصارى، ومنهم من يرجح دين المسلمين، وهذا القول فاش غالب فيهم حتى في فقهائهم وعبادهم لاسيما الجهمية من الاتحادية الفرعونية ونحوهم، فإنه غلبت عليهم الفلسفة، وهذا مذهب كثير من المتفلسفة أو أكثرهم، وعلى هذا كثير من النصارى أو أكثرهم، وكثير من اليهود، وأيضا لو قال قائل: إن غالب خواص العلماء منهم والعباد على هذا المذهب لما أبعد).

ونجد أن بعض النصارى المعاصرين يقول بذلك، يقول نصري سلهب: (إن المسيحية والإسلام منزلان يدعوان إلى الله و إلى اليوم الآخر، و إذا كان هناك فوارق بينهما فلأن الله شاء ذلك، فالطرق إلى الله عديدة) ثم ساق الآيات التي توضح اعتراف القرآن بالنصارى ومدحه لهم[٢] ووافقه على ذلك بعض المسلمين فيقول الأستاذ الدكتور/ محمود حمدى زقزوق (إن أتباع الأديان الأخرى يمكن أن يكونوا صالحين بشرط إيمانهم بوحدانية الله، وعلى وعي بمسئوليتهم أمامه، وكذا سلوكهم العلمي مطابق، ويستدل بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ

(١) وليم سليمان: الحوار مع الأديان، ٤٩.
(٢) نصري سلهب: لقاء المسيحية والإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٠م.

أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٦٢].(١) ولا أدري ماذا يقصد بأن يكونوا أتباعا للأديان الأخرى، ويكونوا موحدين ثم يكون سلوكهم مطابقا. هل يقبل من أحد غير الإسلام الذي أنزل على محمد؟. ولا يقول بهذا القول ويستدل بهذه الآيات على أنها إقرار لأهل الكتاب إلا جاهل بالقرآن أو متجاهل، لأن القرآن فيه مدح للنصارى المؤمنين بالله قبل مبعث النبي ﷺ، أو ممن أمن بمحمد ﷺ وليس في القرآن ثناء على النصارى ممن أتى بعد محمد ﷺ ولم يؤمن به، وظهر ذلك في الآيات التي فيها مدح لهم، وهي:

١- ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [المائدة: ٨٢-٨٣]. ويتضح من هذه الآيات أنها نزلت فيمن آمن بمحمد ﷺ وقد قال ابن عباس: إن هذه الآيات نزلت في النجاشي(٢).

٢- ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ۖ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [آل عمران: ١١٤]. قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: إنها نزلت فيمن آمن من أحبار أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأسد بن عبيد وثعلبة ابن شعبة وغيرهم(٣).

٣- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٦٢]. وهذه الآية في أصحاب سلمان الفارسي من النصارى قبل مبعث لنبي ﷺ ولكنهم لم يدركوه(٤).

---

(١) محمود حمدي زقزوق: الإسلام في الفكر الغربي، دار القلم، الكويت، ١٤٠١ هـ، ١٩٨١م، ص ١٢٤.
(٢) ابن كثير: (١٨٥/٢).
(٣) ابن كثير: (٣٧٩/١).
(٤) ابن كثير: (١٠٣/١).

٢- الحوار لتحقيق أهداف مشتركة مثل محاربة الشيوعية، أو لنشر الأديان السماوية الثلاثة، ومن أمثلة ذلك:

أ- ما تتزعمه السياسة الغربية من حوارات بين أبناء الأديان السماوية، وخاصة بين المسلمين والنصارى لمحاربة الشيوعية، وتضييق مجال عملها. وكثيرا ما نرى أن الشيوعية إذا نشطت في بلد إسلامي أوعزت الولايات المتحدة لحكومات هذا البلد بإعطاء المسلمين قدرا أكبر من الحرية ـ لا حبا لهم ولكن دفعا للشيوعية ـ كما حدث ذلك في مصر، فهذه حركة سياسية تستغل بها الحكومات الغربية المسلمين، وتستمر جهودهم لمصالحها، ولا حرج على المسلمين في محاربة الشيوعية أو استغلال الحريات المتاحة لهم لنشر دينهم، وإنما الحرج في الولاء مع المنصرين والحكومات الغربية وتحقيق أهدافهم[١].

ب- معهد حوار الحضارات والذي تولى رئاسته الفيلسوف الفرنسي المسلم روجيه جارودي، وقد أنشئ هذا المعهد بباريس عام ١٩٧٤ م تحت رعاية منظمة اليونسكو ومقره الآن في جنيف، وقد أسسه مسلمون ونصارى، والأغلبية فيه مسلمون، والأموال المبذولة في المشروع أغلبها أموال إسلامية، وقد ذكر جارودي أن الهدف من هذا المعهد هو (كشف النقاب عن وجه الإسلام الحق المشرق، وعن عقيدته وإسهاماته لتعزيز القيم الإنسانية في العالم)[٢]

ولجارودى نشاطات أخرى كمشروع إحياء روح جامعة قرطبة الإسلامية ومركز البحوث في قرطبة، والهدف من المركز الأخير إثبات قدرة الإيمان والثقافة الإسلامية على إخراج المجتمعات المعاصرة من ضلالتها أي من الفردية الرأسمالية ـ الولايات المتحدة الأمريكية ـ ومن الشمولية السوفيتية.

والنقد الموجه لمثل هذه الحوارات ما يلي:

أولا: أنها لا تحقق أهدافًا شرعية مقبولة، بل على العكس تحقق أهداف أهل الكتاب من جعل أديانهم المحرفة على قدم المساواة بالإسلام، أو على الأقل إقرار المحاور المسلم

(١) خالد بن عبد الله القاسم: مرجع سابق، ص ١٢٧.
(٢) المرجع السابق: ص ١٢٨.

بها يصاحب ذلك عدم اعترافهم بنبوة محمدﷺ على وجهها الصحيح من كونه رسولا للعالمين وشريعته ناسخة لما قبلها. وقد كشف المحاورون المسلمون أهداف هذه الدعوة إلى الحوار بأنها محاولة من الكنيسة للحصول على اعترافات صريحة بالنصرانية وبالسيد المسيح في غير مقابل مماثل، وأن هذه الاعترافات تقدم للنصارى والغربيين لإثنائهم عن دخول الإسلام بدعوى أنه لا توجد بين النصرانية والإسلام فوارق أساسية، وهذه خدعة شديدة الخطورة إذ أن مفهوم التوحيد الخاص الذي يتميز به الإسلام له آثاره البعيدة في النفس الإنسانية وفي الإيمان.

ومن المعلوم أن دين أهل الكتاب قد حرف عن أصله؛ فطرأت الانحرافات العديدة عندهم وأعظمها الشرك بالله، ومن هنا فإن قبول الحوار مع هذه الأديان دون تقدير الموقف الخاص لهذه الانحرافات يكون عملا غير عملي، خاصة وأن الجانب الآخر سيصر على موقفه ويطالب بقبول الأمر الواقع، فهل معنى هذا أن يعترف الإسلام بالأمر الواقع وبالأديان القائمة الآن على أنها هي الأديان المنزلة، وأن كتبها هي الكتب المنزلة؟

والحقيقة التي لا تقبل الجدل أن الإسلام جاء ليصحح أخطاء أتباع الأديان السابقة، ويكشف عن انحرافها عن الطريق الذي رسم لها، فليس هذا الحوار بهذه الصورة من طرق الإسلام، لذا عندما واجه علماء الأزهر جارودي رفضوا فكرته تماما كما أن كثيرا من علماء المسلمين في الملتقى الإسلامي بالجزائر عارضوا الفكرة ورفضوها[1].

ثانيا: أن المتزعم لمثل هذه الحوارات في الغالب لا ينبغي له أن يمثل الإسلام لعدم انطباق الشروط الواجب أن تتوفر في المحاور المسلم، فلا يجوز أن يمثل الإسلام إسماعيلي أو باطني أو قادياني. أما روجيه جارودي ـ وهو المخطط لمثل هذه الحوارات ـ فإنه وإن كان عالما بفلسفة الغرب إلا أنه ينقصه العلم بشريعة الإسلام، إضافة إلى أن له كتابات تدل على انحرافات فكرية ناشئة عن الجهل بالإسلام، ومنها على سبيل المثال: مدحه لابن عربي ونقله لكلامه المتضمن انحرافات خطيرة وإقرارها على صورة لا تصدر من عالم بالشريعة الإسلامية؛ فمثلا يقول:

(١) خالد بن عبد الله القاسم: مرجع سابق، ص ١٣٠.

إن هذا الانفتاح الشامل في الإسلام على كافة الديانات التي ليست كلها إلا لحظات من العطاء في الملحمة الإنسانية، وعملية خلق مستمر ينجزها الإنسان عن طريق الله الذي يسكن فيه، إن هذه الميزة في الإسلام جعلت منه أكبر قوة روحية قادرة على الاستيعاب والاحتواء)[١]. إن هذا الكلام لفي غاية الخطورة وخاصة لمن يحاور الأديان الأخرى باسم الإسلام، ولجارودي كتابات أخرى في مدح الفلاسفة مثل الفارابي وابن سينا والسهروردي وابن عربي تصفهم بأنهم أنقذوا الفلسفة الإسلامية الأصيلة من الاختناق الذي كانت تعاني منه، كما يصف من خالفهم وحاول بيان انحرافهم بعدم التفتح والتعصب فيقول: (أما العامل الداخلي في انحسار الفلسفة وسائر ألوان العلوم والثقافة الإسلامية فمرده إلى رفض كل تفتح خلاق، ويكفي أن نشير إلى ما أصاب الفلسفة من نكسات، إذ نفى ابن طفيل إلى مراكش، وحكم على السهروردي بالموت؛ متهما بالهرطقة، وسجن ابن عربي في القاهرة عام ١٢٠٦هـ بعد أن كشف خطره أحد الفقهاء المتعصبين، ولقد نجا من الموت بأعجوبة ولكن قراءات كتبه أصبحت محرمة بحجة الحفاظ على أصول الدين وقواعده وهكذا انطفأ مشعل الفلسفة الرؤيوية وحكم عليها بالشلل وهي في أوج ازدهارها وانطلاقها)[٢].

ثالثا: أن المركز الإسلامي ينبغي أن يكون قائما على أصول إسلامية فلا يكون خليطا من أهل الكتاب، لأن في ذلك نوعا من وحدة الهدف والتحالف معهم واتخاذهم بطانة من دون المؤمنين، وقد ذكر الدكتور عبد الصبور شاهين أنه لما نوقش جارودي في القاهرة في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وسئل عن تكوين المركز، ذكر أن المركز يتكون من أربعة أعضاء هو الرئيس، والأمين العام مسيحي أسباني وعضوان مسلمان أسبانيان ـ معروف أنهما ممن يتاجرون بالإسلام ـ وأخفى ذكر بعض الأعضاء اليهود الصهاينة الذين كانوا يعملون في تحقيق فكرة جامعة البحر الأبيض المتوسط[٣] وهذه الفكرة لتوحيد الأديان لم تنجح فلما فشلت الفكرة تحولا إلى مركز قرطبة ـ وكان الاجتماع برئاسة وزير

(١) روجية جارودي: مرجع سابق، ص ١٧٧.
(٢) روجيه جارودي: مرجع سابق، ص ١٧٧.
(٣) خالد عبد الله القاسم: مرجع سابق ص ١٣٢

الأوقاف المصري الأسبق الأحمدي أبو النور، فلما قال جارودي ذلك ذكر العلماء أنهم لا يقبلون مركزا إسلاميًّا دون أن يكون مكونا من أصول إسلامية أما أن يكون بهذه الطريقة المشبوهة فذلك شيء لا يقبل[١].

والحق أن المسلم مطالب بالسماحة مع أهل الكتاب، ولكنه منهى عن الولاء لهم بمعنى التناصر والتحالف معهم، وإن طريقه لتمكين دينه وتحقيق نظامه المتفرد لا يمكن أن يلتقي مع طريق أهل الكتاب، ومهما أبدى لهم من السماحة والمودة، فإن هذا لن يبلغ أن يرضوا له البقاء على دينه وتحقيق نظامه، ولن يكفهم عن موالاة بعضهم لبعض في حربه والكيد له، وسذاجة أي سذاجة وغفلة أي غفلة أن نظن أن لنا وإياهم طريقا واحدا نسلكه للتمكين للدين أمام الكفار والملحدين فهم مع الكفار والملحدين إذا كانت المعركة مع المسلمين، وهذه الحقائق الواعية يغفل عنها السذج منا في هذا الزمان وفي كل زمان، حين يفهمون أننا نستطيع أن نضع أيدينا في أيدي أهل الكتاب في الأرض للوقوف في وجه المادية والإلحاد ـ بوصفنا جميعا أهل دين ـ ناسين تعاليم القرآن كله، وناسين تعاليم التاريخ كله، فأهل الكتاب هؤلاء هم الذين كانوا يقولون للذين كفروا من المشركين ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١].

وأهل الكتاب هؤلاء هم الذين ألبوا المشركين على الجماعة المسلمة في المدينة، وكانوا لهم دروعا ورداء، وأهل الكتاب هم الذين شنوا الحروب الصليبية خلال مائتي عام، وهم الذين ارتكبوا فظائع الأندلس، وهم الذين شردوا العرب المسلمين في فلسطين وأحلوا اليهود محلهم، متعاونين في هذا مع الإلحاد والمادية ! وأهل الكتاب هؤلاء هم الذين يشردون المسلمين في كل مكان.. في الحبشة والصومال وأرتيريا والجزائر، ويتعاونون في هذا التشريد مع الإلحاد والمادية والوثنية في يوغوسلافيا والصين والتركستان والهند وفي كل مكان، ثم يظهر بيننا من يظن ـ في بعد كامل عن تقريرات القرآن الجازمة ـ أنه يمكن أن يقوم بيننا وبين أهل الكتاب هؤلاء ولاء وتناصر ندفع به المادية والإلحادية عن الدين)[٢].

---

(١) هذه الفكرة لتوحيد الأديان تبناها الرئيس الراحل محمد أنور السادات وأراد أن تكون في سيناء، ولكنها فشلت ولم تنجح.

(٢) سيد قطب: في ظلال القرآن (٢/٩١٠).

ويقول صاحب الظلال: «إن الذين يحاولون تمييع هذه المفاصلة الحاسمة، باسم التسامح والتقريب بين أهل الأديان السماوية يخطئون في فهم معنى الأديان كما يخطئون في فهم معنى التسامح، فالدين هو الدين الأخير وحده عند الله، والتسامح يكون في المعاملات الشخصية لا في التصور الاعتقادي ولا في النظام الاجتماعي؛ إنهم يحاولون تمييع اليقين الجازم في نفس المسلم بأن الله لا يقبل دينا إلا الإسلام»[١].

ويقول يرحمه الله: «إن الإسلام لا يكرههم على ترك معتقداتهم واعتناق الإسلام لأنه ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] ولكن هذا ليس معناه أن يتعرف بما هم عليه (دينا) ويراهم على (دين). ومن ثم فليس هناك جبهة دين يقف معها الإسلام في وجه الإلحاد هناك (دين) وهناك (لا دين) هو غير الإسلام.. ثم يكون هذا اللادين عقيدة أصلها سماوى ولكنها محرفة، أو عقيدة أصلها وثني على وثنيتها، أو إلحاد ينكر الأديان.. تختلف فيما بينها كلها، ولكنها تختلف كلها مع الإسلام، ولا حلف بينها وبين الإسلام ولا ولاء»[٢].

أثر الحوار مع الآخرين في مجال إعلامهم بالإسلام:

وقبل أن نختم هذا الجزء من أركان الحوار نود أن نذكر بعض النماذج من علماء الإسلام الذين حاوروا أهل الكتاب وفق هذه المواضيع التي قررها القرآن، والتي تخدم الأهداف الشرعية، كما سأذكر نماذج أخرى لموضوعات لا تخدم الأهداف السالفة.

ومن الصعب الحصر لمن حاور أهل الكتاب من العلماء، بل يستحيل ذلك، وإنما سنضرب أمثلة توضيحية عبر أزمنة مختلفة. فمن هؤلاء[٣]

١- أبو الحسن العامري: وله كتاب الإعلام بمناقب الإسلام، قارن فيه بين الإسلام واليهودية والنصرانية وبعض الملل الأخرى، وبين من خلال ذلك فضائل الإسلام، المتنوعة، وفي نهاية الكتاب رد على شبهات أهل الأديان الأخرى تجاه الإسلام وأثبت فيها صحة القرآن، وبشارة الكتب السابقة بالنبي محمد ﷺ.

(١) سيد قطب: المرجع السابق (٢/٩١٢).
(٢) سيد قطب: في ظلال القرآن (٢/٩١٥).
(٣) خالد عبد الله القاسم: مرجع سابق، ١٧٤-١٧٦

٢- أبو حامد الغزالي، وله كتاب الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل، وتناول في كتابه: طوائف النصارى وجهلهم، ثم الموضوع الرئيسي وهو الرد عليهم في دعواهم التثليث، واتخاذ عيسى إلها من دون الله.

٣- ابن حزم الأندلسي، وله كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل، وقد أطال الكلام حول بيان تناقض كتب أهل الكتاب وما فيها من المنكرات، كما أثبت نبوة المسيح وكونه عبدًا لله.

٤- أبو الوليد الباجي، وله رسالة جميلة رد فيها على راهب فرنسا في وقته بعد أن بعث الراهب رسالة إلى ملك الأندلس يدعوه فيها إلى النصرانية، وقد تضمنت رسالة الباجي إبطال التثليث وإثبات نبوة محمد ﷺ.

٥- أبو المعالى الجويني، وله كتاب شفاء العليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، والموضوع الرئيسي للكتاب كما هو ظاهر من العنوان إثبات تحريف التوراة والإنجيل.

٦- أبو عبيدة الخزرجي، وله كتاب في الرد على النصارى ويركز فيه على بطلان ألوهية المسيح من أناجيلهم.

٧- أحمد القرافى، وله كتاب الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة، يرد فيها على شبهات النصارى ويثبت فضل الإسلام وكماله.

٨- ابن تيمية، وله كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، وهو من أفضل الكتب المصنفة في هذا الباب وأجمعها، رد فيها على شبهات النصارى وأثبت من خلاله فضل الإسلام، وعموم بعثة النبي ﷺ، وساق الدلائل المختلفة على صحة رسالته، كما أبطل التثليث، وبين تحريف الأناجيل.

٩- عبد العزيز بن معمر، وله كتاب منحة القريب المجيب في الرد على عُبَّاد الصليب، وهو رد على كتاب لنصراني في البحرين ملىء بالشبهات على الدين الإسلامي، فرد في كتابه على هذه الشبهات مبينًا فيها فضل الإسلام وكماله.

١٠- رحمت الله الهندي، وله مناظرات كثيرة في الهند مع النصارى هناك أشهرها المناظرة الكبرى مع القس فندر، وبحث فيها موضوعات النسخ والتحريف، ثم انسحب القس عن استكمال بقية الموضوعات، وهي إثبات بعثة النبي ﷺ، وصحة رسالته، وإبطال التثليث، كما أن له كتابه المشهور وهو من أحسن ما ألف في هذا الموضوع وهو إظهار الحق ويتناول خمسة موضوعات رئيسة وهي: التحريف، والنسخ، ورد فيهما على اليهود والنصارى وأثبت تحريف كتبهما ونسخهما. وإبطال التثليث، وإثبات كون القرآن كلام الله، وإثبات نبوة محمد من خلال البشارات في العهدين.

١١- أبو الأعلى المودودي، وله مكاتبات مع البابا بمناسبة اليوم العالمي للسلام أشار فيها إلى أن المسلمين يؤمنون بالتوراة والإنجيل، ولكنهم يقولون إنها محرفة، كما ذكر دور جمعيات التبشير في زعزعة السلام، وانتقد أساليبهم المنافية للأخلاق والدين، ودور النصارى في وجود إسرائيل[1].

١٢- أحمد ديدات، وله مناظرات كثيرة ومشهورة مع النصارى في العصر الراهن أشهرها مناظرته مع القس (سوجارت)، كما أن له كتبًا كثيرة مثل: ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد؟ والمواضيع الأساسية التي يتناولها في كتبه ومناظراته إثبات رسالة محمد ﷺ من كتب النصارى، وإبطال التثليث من كتبهم، والرد على شبهاتهم المختلفة.

هذه نماذج مضيئة من العلماء القدامى والمعاصرين ممن التزموا بالموضوعات المحققة للأهداف المشروعية

فإن المسلم لا يمتنع عن الحوار إذا ترجحت مصلحته وإن لم تكتمل فيه الشروط، لأن المسلم مأمور بدعوة غيره إلى الهدى أيا كان، فيدعو بقدر علمه وإمكانه، أما إذا لم يتمكن منه أو خشي على نفسه الفتنة فإنه يمتنع عن الحوار.

(١) أبو الأعلى المودودي: طائفة من قضايا الأمة الإسلامية في القرن الحاضر، مكتبة الرشد بالرياض، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، ص ص ٢٣٩ـ٢٤٤

و ليس معنى وجود الشروط في المحاور أن يحاور على أي ظرف كان، بل لا بد من النظر في المصلحة، فقد يكون الأفضل ترك الحوار أمام جمهور العامة لأنهم يقصرون عن فهم كثير من المعاني، وتلتبس عليهم المصطلحات، ولا فائدة لهم منه، وقد يفهمون الشبه و يعجزون عن فهم الرد عليها، فيكون في هذا الظرف ترك الحوار أولى. وربما يكون العكس صحيحًا فيكون الأولى حدوث الحوار أمام عامة الناس لحاجتهم إليه، لكونهم كفارًا أو مسلمين في بلاد الكفار، ويفهمون ما يقال فيكون الحوار دعوة للكفار، وتثبيتا للمؤمنين.

وعندئذ يجب الاهتمام بإعداد الدعاة لمثل هذه الحوارات لما فيها من فوائد جمة؛ مثل:

أ- إظهار الحق، ورد الباطل، ودعوة الآخرين لديننا.

ب- إنها تكسب المسلمين خبرة بالأديان الأخرى، وطبيعة تفكير أهلها، مما يساعد في دعوة من يرجى إسلامه منهم، ورد شبهات المتشككين.

ج- إن الحوار فن أصيل لا يكفي فيه التعلم النظري، بل لا بد معه من التمرس، وهذه الحوارات تكسب المسلمين خبرة عملية، وعلمًا لا يحصل بالقراءة.

ولا حرج على المسلمين أن يتحاوروا مع أهل الكتاب في أي موضوع يحقق لهم نفعًا دنيويًّا مباحًا، ولكن يجب ألا يكون ذلك على حساب الحوار الديني الذي أمر الله به.

وهكذا فإن للحوار أثرا فعالا في تعريف الآخرين بالإسلام، ويكون للحوار أثر واضح في بيان عناصر التميز في الثقافة الإسلامية، ويأتي هذا من خلال محاورين دارسين، أعدو العدة لهذا، ولديهم دراية كاملة بالأديان الأخرى، وعندئذ يكون الانفتاح عليهم بابا للأخذ بأيديهم إلى نور الإسلام، وتأكيدا لذلك فإن ما فعله الداعية الإسلامي أحمد ديدات آتى ثمارا عظيمة في دخول الكثير منهم في الإسلام، ونأمل أن تتسع قاعدة الحوار مع غير المسلمين؛ لعل ذلك يكون من أبواب الهداية لهم، ولعل الهيئات والمؤسسات القائمة على الدعوة في بلاد المسلمين تُعد دعاة مثقفين بفكر الآخر ولغته؛ فضلًا عن تمكنهم من علوم الشريعة، وعلوم العصر، وتلك مهمة شرعية تحتاج من ينهضون لها لنشر هذا الدين العظيم.